الشارقة في مليون عام:
تطور الاستيطان البشري في جنوب شرق الجزيرة العربية منذ العصر الحجري القديم حتى بدايات التاريخ

بدور القاسمي

صباح عبود جاسم

ملخص

تمثل منطقة إمارة الشارقة أحد أهم الأقاليم في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية لما تحويه من سجل طويل ومتنوع للاستيطان البشري يمتد إلى ما يزيد على مليون عام. يهدف هذا البحث إلى تتبع تطور الوجود الإنساني في الشارقة منذ العصر الحجري القديم الأسفل في حقبة البليستوسين مرورًا بالعصور الحجرية اللاحقة، ثم فترات العصور البرونزية والحديدية والهلنستية، وصولًا إلى بدايات التاريخ المُدوَّن.

يعتمد البحث على تحليل نتائج التنقيبات الأثرية والدراسات الجيولوجية والبيئية، والمقارنات الإقليمية مع مناطق مجأورة مثل عُمان، وبلاد وادي الرافدين، والهضبة الإيرانية ووادي السند، وتُظهر المُعطيات الأثرية أن الشارقة لم تكن هامشًا حضاريًا، بل شكلت عقدة حيوية ضمن شبكات الحركة البشرية المُبكرة، ومسارات الهجرة، والتبادل الثقافي والاقتصادي عبر عصور متعاقبة.

الكلمات المفتاحية

الشارقة، جبل الفاية، جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، العصر الحجري القديم، العصر الحجري الحديث، العصر البرونزي، العصر الحديدي.

بيانات المقال

تاريخ الاستلام 2026/3/24

تاريخ القبول 2026/4/1

Sharjah Archaeological Studies Journal MAY 2026
A Peer-Reviewed Semiannual Scientific Journal Vol. 1, No. 1

Sharjah over One Million Years: The Evolution of Human Settlement in Southeastern Arabia from the Paleolithic to the Dawn of History

Badour Al Qasimi

Sabah Jassim

ABSTRACT

This research briefly reviews Sharjah›s historical journey over approximately one million years, as documented by archaeological evidence unearthed through excavations over the past more than fifty years. These data clearly reveal that the lands of Sharjah were not merely a geographical margin or an isolated region in the southeast of the Arabian Peninsula, but rather an active arena for successive human experiences that formed an integral part of the region's cultural record. It was a fertile and generous land that contributed strongly and challengingly to enhancing human joy and provided a rich material record that facilitates understanding the development of human civilization throughout the ages.

Keywords:

Sharjah, Jebel Faya, Southeastern Arabian Peninsula, Palaeolithic Age, Neolithic Age, Bronze Age, Iron Age.

ARTICLE INFO

Received 24/3/2026

Accepted 1/4/2026

مقدمة:

تُعد دراسة الاستيطان البشري طويل الأمد من أهم المناهج الحديثة في علم الآثار؛ لما تتيحه من فهم أعمق لعلاقة الإنسان بالبيئة، ولآليات التكيف، والاستمرارية، والانقطاع الحضاري عبر الزمن. وفي هذا السياق تبرز إمارة الشارقة بوصفها منطقة ذات قيمة استثنائية؛ إذ تجمع بين تنوع جغرافي فريد يشمل السهول الساحلية، والمناطق الصحراوية الداخلية، وسلاسل جبلية ذات موارد حجرية ومائية، وبين سجل أثري مُوثَّق يمتد إلى بدايات الوجود الإنساني خارج القارة الإفريقية.

شهدت إمارة الشارقة خلال العقود الأخيرة سلسلة من الاكتشافات الأثرية المفصلية، ولا سيما في مواقع مثل: جبل الفاية ومليحة وسهل المدام ووادي الحلو ومنطقة الساحل الشرقي المطلة على بحر عُمان، ومواقع مهمة أخرى، والتي أسهمت في إعادة رسم صورة الاستيطان البشري في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. فقد كشفت هذه المواقع عن أدلة مادية تعود إلى العصور الحجرية القديمة، موثقة استخدام الإنسان للأدوات الحجرية، واستغلاله الموارد الطبيعية، وتكيفه مع التغيرات المناخية المتعاقبة خلال عصري البليستوسين والهولوسين وما بعدهما.

ويهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة شاملة تبرز الدور الحضاري لإمارة الشارقة ضمن السياق الإقليمي الأوسع مع التركيز على التسلسل الزمني وأنماط الاستيطان، وطبيعة اللُّقى الأثرية، ودلالاتها الحضارية، ويعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن مستندًا إلى البيانات الأثرية المنشورة، وإظهار إمارة الشارقة كنموذج دال على دينامية التفاعل بين الإنسان والبيئة في منطقة طالما ذُكرت في الأدبيات القديمة بوصفها هامشًا حضاريًّا.

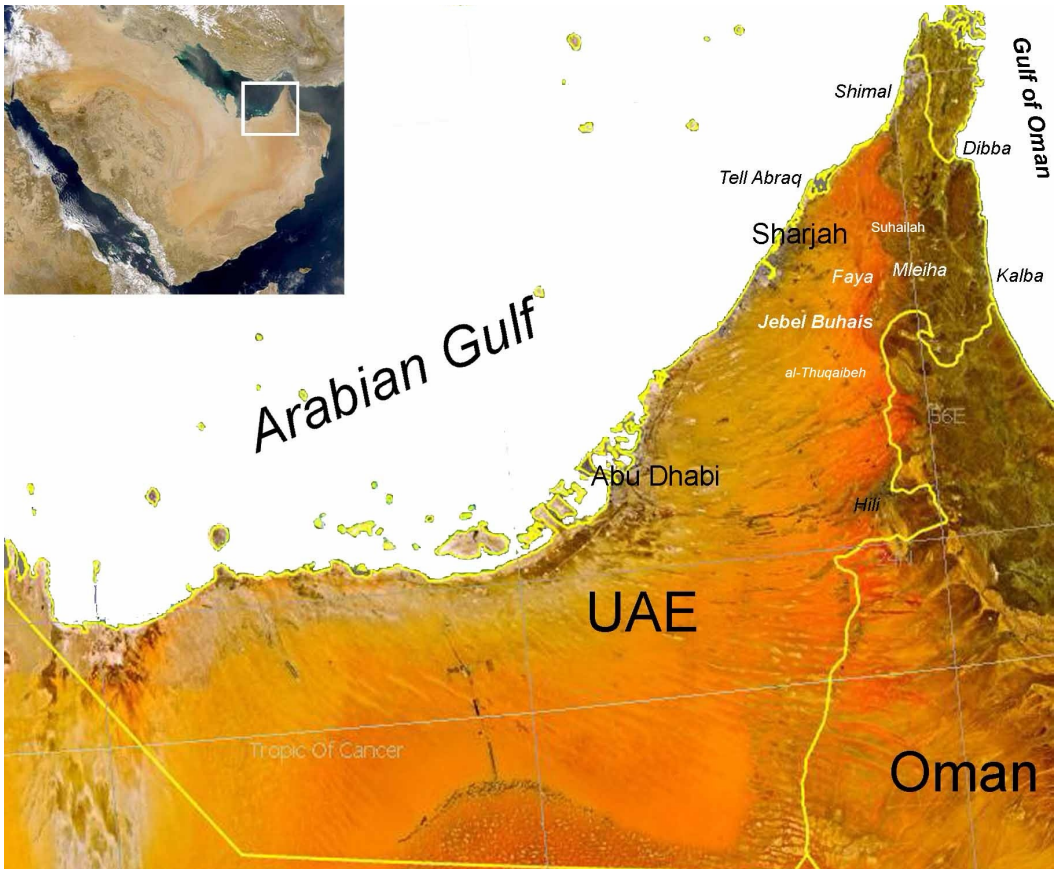

الشكل 1: خارطة دولة الإمارات العربية المتحدة، وتظهر فيها إمارة الشارقة والمواقع الأثرية المذكورة خلال النص.

الشارقة وأهميتها التاريخية عبر العصور:

تُظهر المُعطيات الأثرية في إمارة الشارقة تسلسلًا زمنيًا فريدًا للاستيطان البشري خلال عصر البليستوسين، يبدأ من العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط والأعلى، ويمتد عبر العصرين البرونزي والحديدي وصولًا إلى الفترات الكلاسيكية والإسلامية. وتعكس اللُقى الأثرية، بما في ذلك الأدوات الحجرية والمدافن والعمارة والفخار والعملات المعدنية، تطور الأنماط الاقتصادية والاجتماعية والتقنية للمجتمعات التي استقرت في هذه المنطقة، كما تدل المؤشرات المادية على اندماج الشارقة ضمن شبكات تبادل واسعة النطاق ربطت جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بمراكز حضارية في وادي الرافدين ووادي السند وبلاد فارس والجزر الإغريقية وأقاليم العالم الروماني، مما يمنح مواقعها الأثرية قيمة علمية استثنائية في دراسة تاريخ المنطقة (الشكل 1).

لقد أظهرت الشارقة عبر مكتشفاتها الأثرية عن دور محوري للمنطقة في تاريخ الاستيطان البشري المبكر وفي تشكل شبكات التجارة والتواصل الثقافي في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. فقد أظهرت الأدلة الأثرية أن الشارقة لم تكن مجرد نقطة عبور، بل فضاءً نشطًا للاستقرار والتفاعل الحضاري، حيث أسهمت بيئاتها المتنوعة في دعم أنماط معيشية متعددة من الصيد وجمع الغذاء إلى الزراعة والتجارة البحرية والبرية، ومع تعاقب الفترات التاريخية، أسهم هذا التفاعل في بلورة هوية ثقافية، ذات أبعاد إقليمية، تتجلى بوضوح في العمارة المدنية والدفاعية والجنائزية، والمنتجات المادية، وأنماط الاستيطان المكتشفة في مواقع الإمارة المختلفة وخاصة في موقع مليحة (Jasim et al., 2016).

المنطقة الوسطى والاستيطان البشري المبكر في إمارة الشارقة

إن أقدم دليل يشير إلى الوجود البشري في إمارة الشارقة جاء من موقع سهيلة الواقع في القطاع الأوسط من الإمارة، فقد أشرت الملتقطات السطحية إلى استيطان يعود إلى الفترة الأشولية من العصر الحجري القديم الأسفل، والتي نشأت في إفريقيا وتميزت بظهور نوع من الأدوات الحجرية (الشكل 2) ثنائية الوجه ذات حواف حادة للقطع أو ما يُطلق عليه "فؤوس يدوية" تُؤرخ إلى حوالي 1.7 مليون عام واستمر إلى حوالي 150,000 عام مضى (Bretzke 2015, 117; Bretzke 2016; Bretzke et al., 2018).

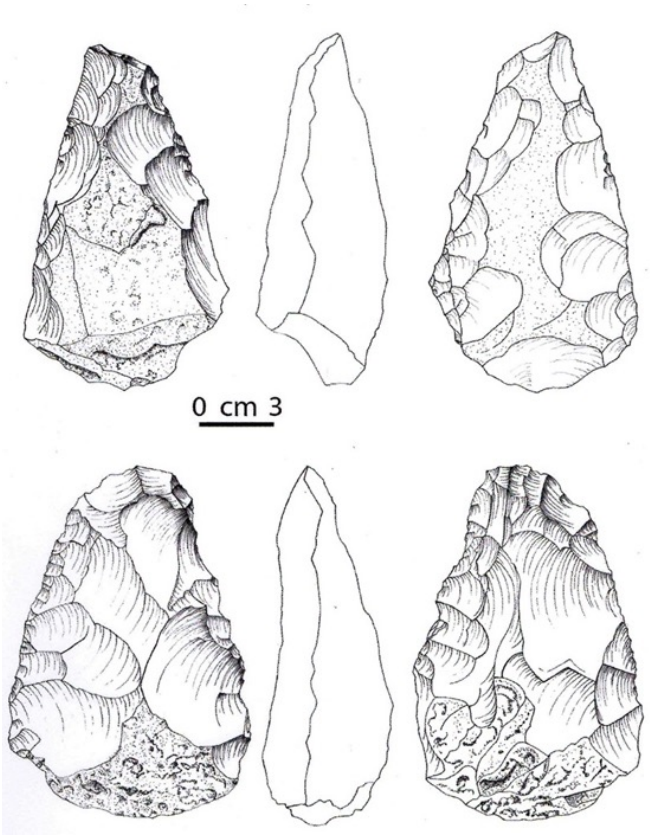

الشكل 2: فؤوس حجرية يدوية تعود إلى الفترة الأشولية، من موقع سهيلة في الشارقة.

وبالانتقال إلى العصر الحجري القديم الأوسط، يُعد موقع جبل الفاية، الواقع في المنطقة الوسطى على بعد حوالي 50 كم إلى الشرق من مدينة الشارقة، أحد أهم مواقع عصور ما قبل التاريخ، خلال هذه الفترة،

في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، لما يُقدمه من أدلة مادية واضحة، مباشرة وغير مسبوقة على وجود الاستيطان البشري المُبكر وتطورات الهجرات البشرية الأولى. وقد أسهمت هذه المكتشفات الأثرية في إحداث تحول جوهري في فهم مسارات الهجرة البشرية، خارج القارة الإفريقية وإثبات صحة فرضية "الطريق الجنوبي" وعبور البحر الأحمر عند مضيق باب المندب نحو الساحل العربي (Armitage et.al., 2011).

يقع جبل الفاية ضمن نطاق بيئي انتقالي يجمع بين السهل الحصوي والمناطق الجبلية، وهو ما وفر موارد طبيعية متنوعة أسهمت في جذب الاستيطان البشري المُبكر، فقد أتاح الموقع إمكانية الوصول إلى مصادر المياه الموسمية، والموارد الخام الحجرية اللازمة لصناعة الأدوات، فضلًا عن كونه نقطة استراتيجية تطل على مسارات طبيعية للحركة والتنقل بين الداخل والساحل (الشكل 3).

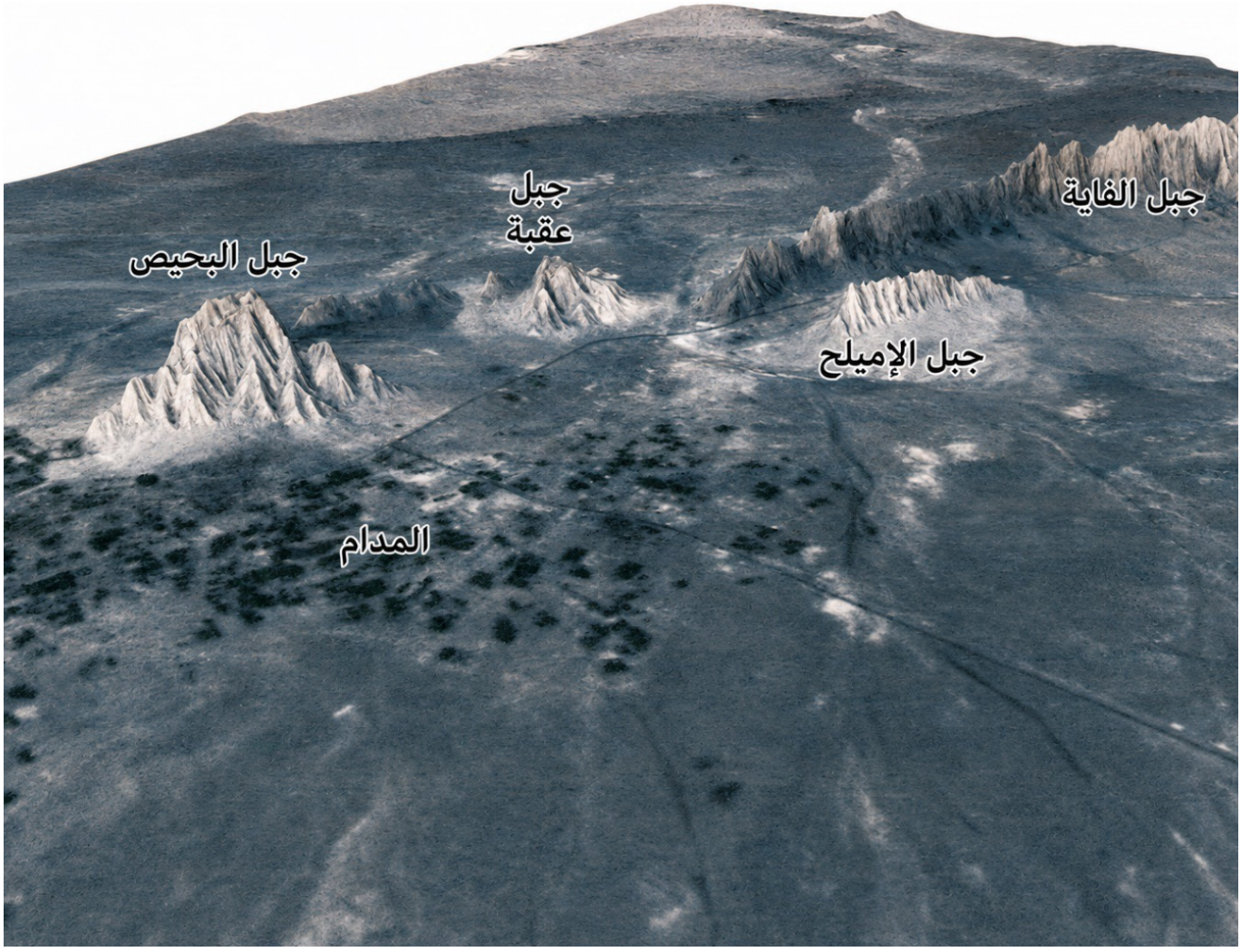

الشكل 3: جبل الفاية مع سلاسل الجبال المجأورة، الممتدة جنوبًا، في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة.

وتشير الدراسات البيئية إلى أن فترات الاستيطان في جبل الفاية تزامنت مع مراحل مناخية أكثر رطوبة، مقارنة بالوضع الحالي، ما أوجد بيئة مناسبة للصيد وجمع الغذاء (Bretzke et al., 2022) ومع ذلك فقد كشفت نتائج التحليلات البيئية مؤخرًا على أن بني البشر كانوا أكثر تكيفًا مما كان يُعتقد سابقًا، وأنهم كانوا يتواجدون في الموقع خلال الفترة بين 210,000-120,000 سنة مضت مما يدل على أن الموقع شهد استيطانًا بشريًا خلال الظروف المناخية الجافة والرطبة على حد سواء مما يشكل تحديً للأفكار السائدة سابقًا ويفتح إمكانية أن تُظهر منطقة شبه الجزيرة العربية مزيدًا من الأدلة على حصول الهجرات البشرية من إفريقيا حتى خلال الفترات الأكثر جفافًا (Bretzke et al., 2020; Bretzke & Jasim 2023).

كشفت عمليات التنقيب التي جرت في جبل الفاية في أوائل الألفية الثالثة بعد الميلاد، عن تسلسل طبقية واضح يضم عدة مستويات استيطانية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط وربما إلى فترات أقدم، وتضم هذه الطبقات تراكمات من الأدوات الحجرية المصنوعة أساسًا من الصوان المحلي، مما يدل على استغلال مباشر للموارد المُتاحة في الموقع. وتتميز اللُقى المكتشفة بحالة حفاظ جيدة الأمر الذي أتاح دراستها تقنيًا ونمطيًا وربطها بسياقاتها الزمنية والبيئية (Armitage et al. 2011; Bretzke et al. 2014).

تشكل مجموعة الأدوات الحجرية المُكتشفة في جبل الفاية، العنصر الأبرز في تفسير طبيعة الاستيطان البشري المُبكر. وضمت هذه الأدوات مكاشط ونصالًا ورؤوسًا حجرية، إضافة إلى نوى مصنوعة وفق تقنيات متقدمة، من أبرزها التقنية الليفولويزية، وتعكس هذه التقنية مستوى معرفيًا متطورًا في التخطيط المسبق لشكل الأداة النهائية، وهو ما يدل على قدرات معرفية وسلوكية متقدمة لدى الجماعات البشرية التي استوطنت الموقع (الشكل 4).

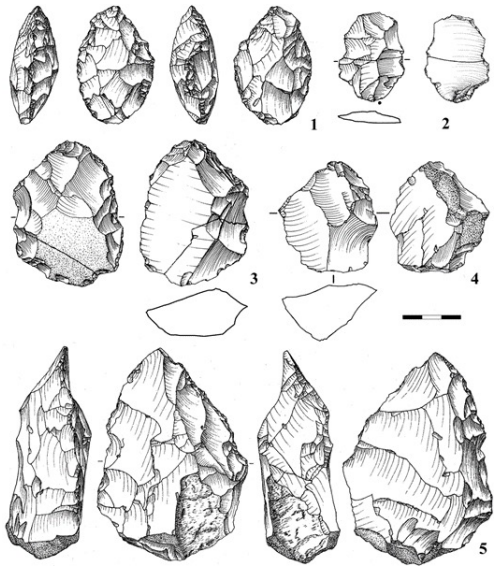

الشكل 4: أدوات صوانية متنوعة تعود إلى حوالي 130,000 عام، من جبل الفاية في إمارة الشارقة.

وتُظهر المقارنات التقنية والنمطية بين أدوات جبل الفاية ونظيراتها في شرق إفريقيا تشابه لافتًا، مما يُعزز فرضية وجود صلات ثقافية أو مسارات هجرة مباشرة بين هذه المناطق. ولا يمكن تفسير هذا التشابه بوصفه تطورًا محليًا معزولًا فحسب، بل ينبغي النظر إليه في إطار ديناميات أوسع لحركة البشر خلال العصر الحجري القديم الأوسط.

دلالات الاستيطان وطبيعته في جبل الفاية

تُظهر طبيعة اللُقى الأثرية وتوزيعها داخل الموقع إلى أن جبل الفاية لم يكن مجرد محطة منعزلة، بل موقعًا شهد استيطانًا متكررًا، وربما موسميًا على مدى فترات زمنية طويلة (Bretzke, et al., 2017, 449). ويُستدل على ذلك من كثافة الأدوات الحجرية، وتنوع وظائفها، ووجود نوى/ لُباب في مراحل مختلفة من التصنيع، مما يوحي بأن عملية إنتاج الأدوات كانت تتم في الموقع نفسه، وليس فقط استخدام أدوات جاهزة. وكما توحي المعطيات الأثرية بأن الجماعات البشرية التي استوطنت جبل الفاية كانت تعتمد على استراتيجيات معيشية مرنة، تجمع بين الصيد وجمع الغذاء، مع

قدرة عالية على التكيف مع التغيرات البيئية ويُعد هذا التكيف أحد العوامل الرئيسية التي مكنّت الإنسان من التوسع خارج البيئات الافريقية التقليدية إلى مناطق جديدة مثل جنوب شرق الجزيرة العربية (Armitage et al., 2011; Petraglia et al., 2012).

يمثل جبل الفاية نقطة محورية في النقاش العلمي حول مسارات الهجرات البشرية المبكرة خارج إفريقيا ففي حين افترضت نماذج تقليدية أن الهجرة تمت عبر الممر الشمالي للهلال الخصيب، تشير الأدلة الأثرية من جبل الفاية إلى احتمال وجود مسار جنوبي عبر شبه الجزيرة العربية، استخدم خلال فترات مناخية ملائمة وتكتسب هذه الفرضية أهمية في ضوء التشابه التقني بين أدوات جبل الفاية ومثيلاتها في شرق افريقيا، وهو ما يؤكد أن جنوب شرق الجزيرة العربية كانت حلقة وصل استراتيجية بين افريقيا والهند وشرق آسيا (Armitage et al., 2011; Petraglia 2012).

تكمن الأهمية العلمية لجبل الفاية في كونه يوفر دليلًا ماديًا مباشرًا على قدرة الانسان العاقل المبكر على التكيف مع بيئات شبه قاحلة، وعلى امتلاكه قدرات وتقنيات معرفية وسلوكية متقدمة مكنته من استغلال موارد جديدة. كما يشكل الموقع مرجعًا اساسيًا في الدراسات المقارنة المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، ويعد نقطة ارتكاز لفهم أوسع لتاريخ الاستيطان البشري في المنطقة (Armitage et al., 2011; Bretzke and Conard 2017; Petraglia et al., 2017).

بالإضافة إلى جبل الفاية، فقد تم اكتشاف مجاميع حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري القديم الأعلى، كما هو الحال في منطقة الفلي الواقعة إلى الغرب من سلسلة جبال الحجر (Scott-Jackson et al., 2007; 2008).

وفي الموقع (BHS 84) في جبل البُحيص حيث تم العثور على مجاميع من الصناعات الحجرية التي تمثل الأنواع النموذجية من العصر الحجري القديم الأعلى (Bretzke 2020). مما يشير إلى انتشار الاستيطان البشري في مناطق متعددة من إمارة الشارقة.

العصر الحجري الحديث في الشارقة

الإطار الزمني والتحولات الأساسية

يمتد العصر الحجري الحديث في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية تقريبًا بين الألفين السابع والخامس قبل الميلاد، مع حدوث فترات زمنية محددة تبين الانتقال من مرحلة الصيد والجمع إلى مرحلة الزراعة والرعي البدائي (Uerpmann & Uerpmann 2002; Magee 2014) ويتميز هذا العصر بظهور تقنيات أدوات حجرية مصقولة وصناعة الفخار، واستقرار شبه دائم للمجتمعات البشرية، إضافة إلى تطور أساليب التفاعل الاجتماعي والاقتصادي. وقد لعبت البيئة المتنوعة في الشارقة، بما فيها السواحل الغنية بالموارد البحرية والأودية الداخلية دورًا في دعم هذا الانتقال من حياة متنقلة إلى أنماط شبه مستقرة تعتمد على التخطيط المستقبلي لتخزين الغذاء واستغلال الموارد الموسمية (Rose 2010).

أنماط الاستيطان الداخلي والساحلي

على طول السواحل التي كانت تشكل شريانًا اقتصاديًا حيويًا، استغلت المجتمعات الموارد البحرية، بما في ذلك الأسماك والمحار والأصداف البحرية، والتي كانت جزءًا أساسيًا من النظام الغذائي (Beech et al., 2000; Carter 2006; Potts 2012a; Magee 2014). وقد كشفت التنقيبات عن أكوام أصداف هائلة تشير إلى استغلال طويل الأمد ومستمر للموارد البحرية، ما يعكس قدرة المجتمعات على تنظيم عمليات صيد جماعي وتخزين الغذاء. كانت المواقع الساحلية غالبًا ذات اتصال مباشر بالمناطق الداخلية عبر طرق تجارية بسيطة، ما يسمح بتبادل الموارد مثل الأسماك مقابل المنتجات الزراعية والحيوانية، مشكلة شبكة اجتماعية واقتصادية إقليمية (Rose 2010).

الاقتصاد والزراعة والرعي وظهور الفخار

شهدت هذه الفترة ظهور الزراعة والرعي البدائي، مع الاعتماد على محاصيل محلية وأنواع من الأغنام

والماعز. وقد أظهرت الدراسات أن الأنشطة الزراعية كانت محدودة في البداية ولكنها ساعدت على دعم المجتمعات شبه المستقرة، خاصة في المناطق الداخلية ذات التربة الخصبة القريبة من الوديان (Uerpmann & Uerpmann 2002).

كان الرعي أسلوبًا تكميليًا لتأمين الغذاء، مع استغلال الأراضي العشبية الموسمية. وقد ساعد الجمع بين الزراعة والرعي على تنويع الموارد الغذائية وتقليل المخاطر المرتبطة بالجفاف، ما أدى إلى تطوير استراتيجيات تخزين فعالة، بما في ذلك استخدام الفخار المُبكر الذي ظهر لأول مرة في بعض مواقع العصر الحجري الحديث كوسيلة لتخزين الماء والمواد الغذائية (Carter & Craw-ford 2010).

التنظيم الاجتماعي والطقوس الدينية

تشير الأدلة الأثرية إلى ظهور أشكال أولية من التنظيم الاجتماعي تشمل مجموعات عائلية مترابطة، تتعاون في عمليات الصيد والزراعة والرعي، كما تم اكتشاف دلائل على ممارسة طقوس مرتبطة بالدفن البشري والممارسات الجنائزية، ما يعكس فهمًا رمزيًا للموت وارتباطه بالمجتمع والطبيعة (Jasim et al., Kieswetter 2003; Rose 2010; Magee 2014).

ولعل من اهم مواقع العصر الحجري الحديث في إمارة الشارقة هو موقع جبل البحيص 18، الواقع في المنطقة الوسطى حيث أظهر تحليل الكربون 14 المشع تاريخًا يعود إلى ما بين 6000 و5000 عام قبل الميلاد، وقد أظهرت دراسة بقايا عظمية وجدت في هذا الموقع بأن الناس كانوا قد استفادوا من الحيوانات المدجنة مثل الأغنام والماعز والماشية وكذلك حيوانات برية مثل الغزلان والإبل. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن موقع جبل البحيص 18 كان موقع موسمي تم استيطأنه أثناء فصل الربيع وكان سكأنه يهاجرون إلى جبال الحجر صيفًا وإلى ساحل البحر شتاءً حيث يعتمدون في غذاءهم بشكل رئيسي على الأسماك والقواقع البحرية، كما استدل على ذلك بواسطة تحليل التركيب الكيمياوي لعظام الموتى (Jasim 2012; Jasim et al., 2016; Uerpmann et al., 2000).

كانت نقطة الجذب للبدو الرعاة الذين وفدوا إلى هذا الموقع قبل سبعة آلاف عام، هو وجود ينبوع مياه عذبة اعتمد عليها الانسان عندما كانت الظروف المناخية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، أكثر رطوبة مما هي علية في الوقت الحاضر. وعندما تعرض هذا الينبوع إلى الجفاف في نهاية الألفية الخامسة قبل الميلاد، هاجر السكان إلى سواحل خلجان عمان حيث استطاعوا مواصلة العيش حتى الألفية الرابعة والثالثة قبل الميلاد (المصدر السابق).

لم يُعثر على ما يشير إلى وجود وحدات سكنية في جبل البحيص، ويبدو أن السكان قد تكيفوا مع تركيبات بسيطة. ومن اللافت وجود مقبرة كبيرة (الشكل 5) ضمت بقايا المئات من الأفراد الذين قضوا نحبهم في نفس الموقع وتم دفنهم بكامل زينتهم الشخصية, وأفراد آخرين كانوا قد توفوا بعيدًا عن الموقع وتم إعادتهم على شكل أكوام من العظام ليُدفنوا لاحقًا بمقبرة الموقع الأم. وتشير وضعية دفن الجثث إلى اتباع طقوس جنائزية معينة ونوع من المعتقدات الدينية (Kiesewetter et al., 2000; Jasim et al., 2003; Beauclair et al.2006).

الشكل 5: جزء من مقبرة جبل البحيص، يوضح وضعية الهياكل العظمية البشرية في الدفنين الأولي والثانوي.

وعلى مقربة من جبل البحيص، في موقع يُسمى "ند الثُمام"، يتكون بصورة رئيسية من كثبان رملية، تم العثور على مجموعة من الأدوات الحجرية تتكون من رؤوس السهام، مع عدد من الخرز المتنوعة تعود إلى العصر الحجري الحديث (الشكل 6). وربما كان هذا الموقع موضعًا للاستيطان أو ممارسة النشاط البشري.

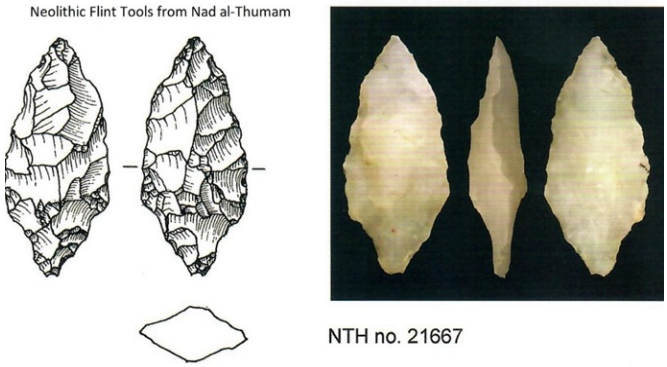

الشكل 6: رؤوس سهام صوانية من العصر الحجري الحديث من موقع ند الثُمام في إمارة الشارقة.

وكشفت عمليات التنقيب التي جرت في القطاع الأوسط من إمارة الشارقة وجود آثار العصر الحجري الحديث في الموقع (FAY-NE 15)، وظهور مقبرة أخرى من هذا العصر، ضمت بضعة هياكل عظمية، وكان وضع الموتى مشابها ما هو موجود في مقبرة جبل البُحيص المذكورة آنفًا، وكانت جميعها مزينة بأنواع مختلفة من الخرز على الرأس والرقبة. وقد عُثر في خندق الاستكشاف على العديد من مواقد النار، ودلائل على وجود نبع أحفوري. ويبدو أن هذا الموقع كان منطقة سكنية ضمت مقبرة إلى جوارها (Ketterer and de Beauclair 2008).

ومن الاكتشافات المثيرة هو العثور على بقايا عظام بشرية محروقة تعود على ما هو واضح للعديد من الأفراد وجدوا في سياق منتظم من العصر الحجري الحديث داخل كهف صغير مُطل على أحد وديان جبل الفاية (FAY-NE 10) تم تأريخها بواسطة الكربون المُشع 14 إلى ما بين 6500 و5800 قبل الميلاد، وتعتبر هذه من بين أقدم حالات حرق الجثث المُوثقة في منطقة جنوب غرب آسيا. تُعد هذه الرواسب حتى الآن أقدم بقايا بشرية تم العثور عليها في جنوب شرق الجزيرة العربية، وتمثل مرحلة خلال العصر الحجري الحديث الأوسط لم يتم توثيق أي أنواع أخرى من المدافن لها حتى الآن (Ketterer et al. 2012). وقد ساهمت مكتشفات مواقع العصر الحجري الحديث من جبل الفاية إضافة إلى جبل البحيص 18 برفد السجل الأثري بوفرة من المعلومات المهمة (Uerpmann et al., 2013).

وفي وادي الحلو الواقع على امتداد سلسلة جبال الحجر الشمالية بين مليحة وكلباء، تم العثور على تركيبات حجرية بسيطة وقبر على شكل كومة أحجار كبيرة دائرية الشكل، يُعتقد أنها كانت قبور في هذا الموقع الذي تم استخدامه من قبل البدو الرُعاة خلال العصر الحجري الحديث (Uerpmann, M. et al. 2018).

شهدت الألفية الخامسة قبل الميلاد بالتزامن مع تحسن الظروف المناخية، ظهور المزيد من المواقع الأثرية والاستيطان البشري في المواقع الساحلية، كما يُستدل من أكوام الصدف الهائلة والقواقع البحرية المنتشرة في عدد من المواقع. ومن أبرز المكتشفات الأثرية التي أنتجتها هذه المواقع هو العثور على نوع من الأوعية الفخارية المعروفة بفخاريات "العُبيد" نسبة إلى موقع العُبيد الأثري في جنوب العراق. ويشير الدليل الأثري إلى أن فخار العبيد وُجد في مواقع في إمارة الشارقة، ولعلنا نشير بشكل خاص إلى موقع الحمرية، الواقع بمحاذاة الساحل الغربي للخليج العربي في إمارة الشارقة (Jasim 1992)، ومواقع أخرى في إمارة القيوين (Phil-lips 2002)، وجزيرة مروح في إمارة أبو ظبي (Beech 2007). ويشير الدليل الأثري إلى وجود فخاريات العبيد في منطقة الخليج العربي ابتداء من الكويت وجنوبًا إلى الإقليم الشرقي من المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر، والتي كانت على ما يبدوو مراكز مهمة في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية (Potts 1990; 2009; 2012; Carter 2006; Magee 2014).

ونجدر الإشارة إلى أن نتائج التحليل النيوتروني وتحليل

التربة قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك في إن مصدر هذه الفخاريات هو جنوب العراق وخاصة في مواقع أريدو وأور والعبيد، وان وجوده في تلك المواقع البعيدة في منطقة الخليج العربي، كان لأغراض التجارة وجزء من عملية تبادل البضائع (Oates 1977; 1986; Uerp-mann 1996; Jasim 2022).

ويبدو أن الفخار كان من بين البضائع الأخرى التي تم تبادلها، كما يشير إلى ذلك، وجود خرزة مصنوعة من القار في مدفن بموقع أثري في إمارة أم القيوين، أشارت نتائج التحليل بأنه كان مستورد من بلاد وادي الرافدين (Phillips 2002). إن وجود هذه البضائع العراقية في منطقة الخليج العربي في الألفية الخامسة قبل الميلاد، تدل على قيام تواصل بشري مباشر بين المنطقتين استمر عبر الفترات الزمنية اللاحقة.

الخلاصة

يمثل العصر الحجري الحديث في الشارقة وعمان، مرحلة هامة في تاريخ تطور الإنسان، فقد شهد هذا العصر انتشارا واسعا لمواضع الاستيطان والمدافن صاحبه انتقالٍ نوعيًا من حياة متنقلة إلى شبه مستقرة، مع تطور الاقتصاد وظهور الحيوانات المُدجنة وتنوع الغذاء وظهور التنظيم الاجتماعي والطقوس الدينية واتاح استغلال الموارد البحرية والداخلية بناء شبكات تبادل إقليمية، وتوفر الدليل الأثري على قيام أنشطة تجارية بحرية مع بلاد وادي الرافدين خلال الفترة الحضارية المُسماة "العُبيد"، وبلك سجل التاريخ أول اتصال حضاري بين العراق القديم وبين الخليج العربي.

الشارقة في الألفية المُظلمة

يطلق علماء الآثار على فترة الألفية الرابعة قبل الميلاد، بين 4000 – 3200، تسمية "الفترة المظلمة" بسبب اختفاء أو ندرة الدليل الأثري في بعض المناطق في شرق شبه الجزيرة العربية، من بينها الإمارات وعُمان على وجه الخصوص، وربما كان تغير الظروف المناخية نحو الأسوأ والجفاف الشديد هو السبب الذي أدى إلى هجرة السكان أو تراجع الاستيطان هناك (Uerpmann, M. 2003, 73).

استمر الحال حتى نهاية الألفية الرابعة، وبدأت رياح التغيير المواتية تهب على المنطقة مرة أخرى بحلول العصر البرونزي في حوالي 3200 قبل الميلاد، الذي يمثل مرحلة مفصلية في تاريخ الاستيطان البشري في إمارة الشارقة، إذ شهدت خلاله المنطقة انتقالًا واضحًا من أنماط الاستيطان المحدودة نسبيا التي كانت سائدة سابقًا في عصور ما قبل التاريخ إلى مجتمعات أكثر استقرارًا وتعقيدًا من حيث التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والديني، وتحول المجتمعات المحلية من الاعتماد على الزراعة والرعي والأدوات النحاسية البسيطة إلى استخدام النحاس والبرونز في انتاج أدوات أكثر تخصصًا.

لقد حفزّت الحاجة إلى تصدير النحاس والموارد الأخرى إلى تطوير شبكات تجارية معقدة تربط بين الشارقة، ومجان، وبلاد ما بين النهرين ووادي السند والهضبة الإيرانية (Potts 1990: Cleuziou & Tosi 2007)، واستخدمت المجتمعات المحلية طرق تجارية بحرية وبرية لتبادل الموارد، مما أدى إلى تعزيز الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق (Potts 1990; Laursen & Steinkeller 2017). كان النحاس عنصرًا حيويًا في الاقتصاد، حيث استخدم في صناعة الأدوات الزراعية والأسلحة والآلات اليدوية. كما أن حيازة النحاس أو المنتجات البرونزية كانت دليل على السلطة والمكانة الاجتماعية، ما ساعد على بروز طبقات اجتماعية مميزة ضمن المجتمعات (Weeks 2003; Ma-gee 2014).

كانت المنطقة المعروفة بالمصادر المسمارية من بلاد وادي الرافدين باسم "مجان" (عُمان الحالية ودولة الإمارات العربية المتحدة)، تلعب دورًا مركزيًا في توفير النحاس والمعادن الأخرى، وكانت الشارقة جزءًا من شبكة واسعة من التبادل تربط بين مصادر المعادن

ومناطق الاستيطان، وقد ساهم هذا الربط في تعزيز الاستقرار الاقتصادي وزيادة تعقيد المجتمعات (Potts 1990).

وتعكس المكتشفات الأثرية العائدة إلى هذا العصر تطورًا تدريجيًا في استغلال الموارد وفي أشكال العمارة والبُنى الاجتماعية، وإنتاج الفخار العادي والمصبوغ والذي أصبح عنصرًا أساسيًا في الحياة اليومية، مع تطور أساليب التخزين والطهي، واستمر استخدام الأدوات الحجرية جنبًا إلى جنب مع الأدوات المعدنية لتلبية حاجات المجتمع الزراعي والاقتصادي المتقدم. ويعكس هذا الاستخدام المزدوج انتقال المجتمع من الاعتماد الكامل على الحجر إلى استخدام مواد أكثر تقدمًا لتعزيز الإنتاجية (Carter & Crawford 2010)، بما يضع الشارقة ضمن الإطار الحضاري العام لمنطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

يُؤرخ العصر البرونزي في المنطقة إلى الفترة الممتدة من نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد، ويرتبط بثقافات معروفة في الأدبيات الأثرية، أبرزها ثقافات حفيت وأم النار ووادي سوق على التوالي.

العصر البرونزي وأشكال الاستيطان والأنشطة الاقتصادية في الشارقة

شهدت الفترة الممتدة بين أواخر الألفية الرابعة ومنتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (2500-3200)، ظهور مستوطنات كبيرة قائمة على الزراعة وتربية الحيوانات في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية وعُمان (Potts 1986, 121; Cleuziou 1979). ويُطلق على هذه الفترة الزمنية، "فترة أو أفق حفيت" نسبة إلى المدافن الموجودة على سفح جبل حفيت بالقرب من مدينة العين في إمارة أبو ظبي، وهي مدافن جماعية صغيرة على شكل خلايا النحل.

وكما تُظهر الدلائل الأثرية، فقد شهدت فترة حفيت استئناف التواصل الحضاري والتجاري بين منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية وبلاد وادي الرافدين، وذلك استنادًا على مكتشفات فخاريات "جمدة نصر" من جنوب العراق القديم والتي تم إيداعها كهدايا جنائزية في عدد من المدافن الأثرية خلال هذه الفترة. ونشير بهذا الصدد إلى ما تم اكتشافه من أمثلة موازية في كل من القبرين (BHS 72, وBHS 89) في مقبرة جبل البحيص في الشارقة (Jasim 2012, figs. 247, 383)، وتذكرنا بأمثلة من قبور جبل حفيت في العين، وبات في عُمان (Frifelt 1975, figs. 7, 10, 12; Madsen 2017, figs. 46, 83, 98, 104, 148-150; Cleuzio and Tosi 2017, 131)

ومن المواقع التي تعود إلى هذه الفترة في إمارة الشارقة هو جبل الإميلح الواقع في سهل المدام (Benton & Potts 1994)، وفي منطقة جبل البحيص المجاورة، وشهدت كلتا المنطقتين وجود مدافن تمثل فترة انتقالية بين فترتي حفيت وأم النار التاليتين (Benton & Potts 1994; Jasim 2012، 263، 270).

وقد تم مؤخرًا تنقيب عدد من قبور فترة حفيت في منطقة نزوى التابعة لإمارة الشارقة بالقرب من منطقة الحدود مع إمارة دبي المجاورة، من قبل فريق محلي من هيئة الشارقة للآثار، ولا يُعرف بعد فيما إذا كانت هذه القبور مرتبطة بوجود مستوطنة قريبة في نفس تلك المنطقة.

العصر البرونزي الوسيط (فترة أم النار)

تمتد هذه الفترة من حوالي 2500 – حوالي 2000 قبل الميلاد وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى جزيرة أم النار بالقرب من إمارة أبو ظبي (Frifelt 1991). تمثل هذه الفترة ذروة حضارة العصر البرونزي، وشهدت قيام روابط تجارية مع حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي السند (Hellyer 1998; Jasim 2003). تميزت هذه الفترة بظهور مستوطنات وقبور جماعية كبيرة ذات تخطيط دائري الشكل وواجهة مشيدة بقطع حجرية ملساء، احتوت بداخلها على عدد من حجرات الدفن

التي استوعبت المئات من الموتى، وكانت ذات انتشار واسع في أراضي الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان (Cleuziou and Tosi 2007).

تجلت حضارة ام النار بشكل واضح في إمارة الشارقة، في موقع تل الأبرق الكبير الذي ضم مستوطنة وبرج دائري وقبر دائري الشكل من طراز أم النار كان زاخرًا بالهدايا الجنائزية التي تُزين الآن بعض خزانات العرض في متحف الشارقة للآثار (Potts 2000). ولعل من أكثر قبور أم النار إثارة للإعجاب هو ذلك المدفن الكبير ذو التخطيط الداخلي الفريد من نوعه من بين قبور أم النار فيما يتعلق بتخطيطه الداخلي ومحتوياته، الذي تم اكتشافه في مليحة في العام 1998، ويبلغ قطرة حوالي 13.85 مترًا تقريبًا وهو بلك يُعد أحد أكبر المدافن في هذه الفترة حجمًا (Jasim 2003, 86).

وعلى مسافة قريبة من قبر أم النار المُشار إليه آنفًا وفي الطرف الشمالي عند سفوح جبل الفاية، تم تنقيب عدد من قبور أم النار ذات التخطيط الدائري المتميز، ضمت بعض اللُّقى الأثرية المألوفة في هذه الفترة (Jasim and Yousif 2016).

ومن الموقع الأخرى ذات الأهمية هو موقع كلباء على الساحل الشرقي لإمارة الشارقة والذي كان مأهولاً على نحو متواصل من عصر أم النار إلى العصر الحديدي، حيث كشفت عمليات التنقيب الأثري عن بقايا مستوطنة كبيرة، ذات اقتصاد قائم على صيد الإسماك (Lidour et.al., 2023,1)، وربما كانت بمثابة مركز تجاري يربط بين طرق التجارة البحرية والبرية المؤدية إلى المنطقة الداخلية من شبه الجزيرة العربية (Schawl et.al., 2022, 329).

وكذلك فقد وجدت بقايا عصر أم النار في موقع تعدين النحاس في وادي الحلو حيث تم تنقيب مبان سكنية ومقبرة وبرج مراقبة دائري كبير وورشة كبيرة لصهر النحاس، ويشهد وجود سبيكة كبيرة دائرية الشكل من النحاس الخالص، بقطر 15 سم ويبلغ وزنها 4.6 كغم على إنتاج المعادن في نفس الموقع (Ketterer & Jasim 2020, fig. 5.58)، وقد حُددت درجة انصهار خبث النحاس بحوالي 1200 درجة مئوية (Ketteree & Jasim 2009; Ketterer et al. 2013). وكان معظم الفخار الذي عُثر عليه في الموقع يعود إلى فترة أم النار (Ketterer & Jasim 2009. fig. 9.1). ونشير أيضًا إلى وجود عدد من قبور فترة أم النار ومحتوياتها من المواد الأثرية المميزة لهذه الفترة في مقبرة جبل البُحيص (Jasim 2012).

إن وجود فخاريات وادي الرافدين في هذه القبور يقترح معاصرتها لفخاريات فجر السلالات الثالث من سلسلة تعاقب منطقة ديالى، المؤرخة إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (Jasim 2003, 98)، ويشير بوضوح إلى استمرارية التواصل الحضاري والتجاري مع بلاد وادي الرافدين خلال هذه الفترة، ومن المعروف إلى أن قبور فترة أم النار معروفة أيضًا في أبو ظبي وواحة العين ورأس الخيمة وعجمان ودبي، وذات انتشار واسع في سلطنة عُمان (Cleuziou and Tosi 2007).

العصر البرونزي المتأخر (وادي سوق)

تشير الدلائل الأثرية إلى أن المستوطنات التي ازدهرت خلال فترة أم النار، قد شهدت تغيرًا واضحًا شمل مواضع السكنى والصناعات الفخارية وعادات دفن الموتى، ويسجل هذا التغيير انتهاء فترة أم النار وبدء فترة حضارية جديدة امتدت إلى ما بين 2000 إلى حوالي 1300 قبل الميلاد.

ويُطلق على هذه الفترة الجديدة "وادي سوق"، واكتسبت تسميتها من موقع أثري في وادي سوق في عُمان. يطلق علماء الآثار على هذه الفترة "العصر البرونزي المتأخر" (Carter 1997, 237; Velde 2003, 111). شهدت الفترة ظهور مستوطنات جديدة ضمت وحدات بنائية وفق تخطيط مدروس في مناطق ذات تضاريس جغرافية مختلفة كما يشير إلى ذلك وجود مستوطنة كبيرة واسعة أقيمت على سفوح ثلاثة جبال متجأورة في منطقة خور فكان المُطلة على الساحل الشرقي على بحر عُمان (Jasim 2000, 145).

وكشفت تنقيبات منطقة جبل البُحيص في الشارقة العديد من المدافن التي تمثل طُرزًا جديدة غير مسبوقة من العمارة الجنائزية، ليس لها ما يضاهيها في عموم المنطقة ونذكر بشكل خاص القبر رقم 66 المُشيد تحت سطح الأرض على شكل ورقة البرسيم (الشكل 7)، والذي وُجد زخرًا بالهدايا الجنائزية المنوّعة التي تم إيداعها بصحبة الأفراد المدفونين في هذا القبر (Jasim 2012, 174). ونشير أيضًا إلى القبر رقم 90 الذي اتخذ تصميمه تقريبًا شكل لفظ الجلالة [الله] (الشكل 8) (المصدر السابق، 279). وقد احتوت تلك القبور أنواع متميزة من الأواني الحجرية والأوعية الفخارية والأسلحة المعدنية. ولم تخلوا مقبرة وادي سوق في جبل البُحيص من قبور صغيرة ومتواضعة إلى جانب تلك القبور الاستثنائية، ويعكس هذا بوضوح وجود مجتمع قائم على التفاوت الطبقية والحالة الاجتماعية.

يبدو أن الموت وحياة ما بعد الموت كانت شاغلًا رئيسيًا في عقول سكان جبل البُحيص وسلوكهم خلال فترة وادي سوق، فقد أولوا موضوع الدفن وتشييد القبور اهتمامًا بالغًا وإدراكًا معرفيًا وجهدً كبيرًا، انعكس في عددها ونوعيتها ومحتوياتها وطُرزها المتميزة التي تختلف جذريًا عن قبور الفترة السابقة.

ولابد لنا التنويه بأن معظم مستوطنات فترة أم النار السابقة، كانت قد استمرت قيد الاستيطان خلال فترة وادي سوق اللاحقة بمظاهر حضارية جديدة ومتميزة عما كان سائدً خلال الفترة الماضية، وخاصة فيما يتعلق بالعمارة الجنائزية ونذكر على سبيل المثال، مستوطنتي تل الأبرق وكلباء ذات الأهمية الاستثنائية.

إن اكتشاف أختام مسطحة مصنوعة من حجر الكلورايت من نوع أختام "دلمون" في أحد قبور جبل البحيص من فترة وادي سوق (Jasim 2012)، وآخر في مستوطنة كلباء ينطوي على أهمية خاصة (ختم من نوع الخليج العربي)، فهو يؤكد على استمرارية التواصل الحضاري خلال الألفية الثانية قبل الميلاد وأن شبكات التبادل التجاري قد تغلغلت عميقًا إلى الأجزاء الداخلية من منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية .

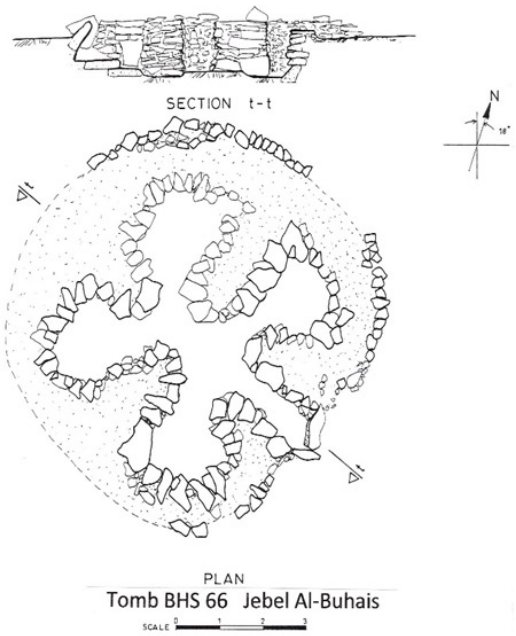

الشكل 7: قبر تحت سطح الأرض على شكل ورقة البرسيم من فترة وادي سوق، في مقبرة البُحيص.

الشكل 7أ: ختمٌ من نوع الخليج العربي من كلباء

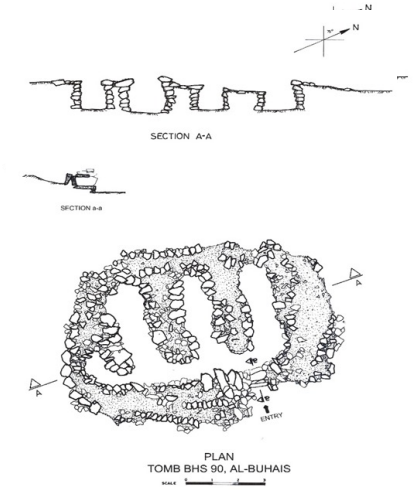

الشكل 8: قبر تحت سطح الأرض، مُشيّد عن طريق الصُدفة ؟، على شكل لفظ الجلالة [الله] من فترة وادي سوق.

العصر الحديدي والتحولات الكُبرى في الشارقة

يمتد العصر الحديدي تقريبًا من نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد حتى نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد (1300-300 ق.م)، ويتفق علماء الآثار على تقسيمه إلى ثلاثة مراحل حيث يبلغ أوجه في العصر الحديدي الثاني (1100-600 ق.م).

يمثل العصر الحديدي مرحلة انتقالية مهمة، شهدت خلالها المجتمعات المحلية في إمارة الشارقة تغيرات جوهرية في أنماط الاستيطان والتقنيات الاقتصادية والتنظيم الاجتماعي، وتُظهر مواقع الشارقة مؤشرات على وجود تقسيم واضح للمساحات السكنية وربما قيام أشكال أولية من السلطة المحلية أو التنظيم المركزي كما يدل انتشار بعض أنواع العمارة الدفاعية حدوث تغيرات في العلاقات الاجتماعية، قد تكون مرتبطة بالتنافس على الموارد الطبيعية أو بالتحكم في طرق التجارة وتبادل البضائع (Cordoba 2003, 179).

تكشف دراسة معطيات العصر الحديدي في إمارة الشارقة عن مرحلة حاسمة في تطور المجتمعات المحلية، اتسمت بزيادة المجاميع السكانية والاستقرار المتزايد وتعقيد التنظيم الاجتماعي وتنوع الأنشطة الاقتصادية من خلال التوصل إلى تحقيق منجزات حضارية بالغة الأهمية من بينها تدجين الجمل الذي ساعد في تقليص المسافات وتسهيل مهمة تبادل السلع التجارية، وابتكار نظام الفلج أو قنوات الري الممتدة تحت سطح الأرض، والتي أسهمت بدرجة كبيرة في ازدهار الزراعة وتأمين ووفرة المحاصيل الزراعية مما ساعد على الاستقرار وإرساء الأسس الحضارية التي مهدت لظهور مراكز حضارية لاحقة في المنطقة.

تشير مكتشفات العصر الحديدي من مواقع الشارقة بأنها تشترك في الكثير من السمات مع مواقع جنوب شرق شبه الجزيرة العربية وبشكل خاص في عُمان ويؤكد هذا التداخل بين العنصر المحلي والإقليمي إن الشارقة كانت جزء فعّال من شبكة حضارية واسعة امتدت عبر عموم المنطقة خلال هذه الفترة.

إن التطور اللافت والمثير الذي شهده العصر الحديدي، يتمثل بالزيادة الملحوظة في عدد المستوطنات وانتشارها عبر المنطقة في دولة الإمارات وعُمان، على عكس ما كان عليه الحال خلال فترة وادي سوق السابقة التي تميزت بوجود عدد قليل منها فقط.

شهد العصر الحديدي في إمارة الشارقة قيام مستوطنات واسعة ومستقرة ذات اقتصاد مزدهر قائم على ممارسة الزراعة والتجارة، ونخص هنا الإشارة إلى مستوطنة الثقيبة الواقعة في سهل المدام التي شهدت عمليات تنقيب متواصلة على مدى أكثر من عشرين عامًا، وتم الكشف عن وحدات سكنية وحارات ذات تخطيط منتظم (الشكل 9). ولعل من أهم الاكتشافات التي تم تحقيقها في هذا الموقع هو العثور على فلج أو شبكة قنوات أرضية، وهي المرة الأولى التي يتم فيها اكتشاف مثل هذا النوع من المبتكرات الحضارية والتي غالبًا ما اقترن ذكرها بالعصر الحديدي (الشكل 10) والتي يُعزى لها الفضل الأكبر في ازدهار الزراعة واتساع المستوطنات واستقرارها (Cordoba 2003, 173; Del Cerro 2012, fig.7). ومن بين المكتشفات المهمة وغير المسبوقة في هذا الموقع "ورشة صناعة الطوب الطيني" والتي ساهمت منتجاتها في عمليات تشييد وحدات المباني السكنية في الموقع (Cordoba 2003; 2006; Del Cerro 2012, fig. 5).

الشكل 9: وحدات بنائية تمثل بيوت سكنية من العصر الحديدي الثاني في مستوطنة الثقيبة، إمارة الشارقة.

الشكل 10: جزء من قناة مائية تحت سطح الأرض (فلج) في موقع الثقيبة، إمارة الشارقة.

وفي مجال العمارة الجنائزية، تجدر الإشارة إلى أن مقبرة جبل البحيص التي لا تبعد كثيرًا عن موقع الثقيبة على قبور عديدة ضمت، إلى جانب الهياكل العظمية، مجموعات كبيرة من الودائع الجنائزية من بينها مجموعة رائعة ومتنوعة من أوعية مصنوعة من الحجر الصابوني الناعم والفخار والأدوات والأسلحة المعدنية وحلي الزينة ذات الصفات الخاصة بالعصر الحديدي والتي يمكن مقارنتها إلى درجة كبيرة مع مواقع العصر الحديدي الأخرى في دولة الإمارات (Jasim 2009; Jasim 1912). ونظرًا إلى عدم العثور على مقبرة في مستوطنة الثقيبة فمن المحتمل أن السكان هناك كانوا قد استفادوا من وجود مقبرة وادي سوق في جبل البحيص والتي لا تبعد كثيرا عنهم، في دفن مواتاهم ويبدو ذلك جليًا من تعاقب الدفن الطبقية ضمن قبور فترة وادي سوق.

وبالإضافة إلى مستوطنة الثقيبة، تضم أراضي إمارة الشارقة بقايا مستوطنة أخرى كبيرة ومهمة من فترة العصر الحديدي الثاني، وهي مستوطنة "مويلح" (الشكل 11)، والتي تبعد عن الساحل الغربي حوالي 15 كم لإمارة الشارقة (Magee 1996; Blau et al. 2000).

الشكل 11: منظر جوّي لمستوطنة مويلح، ويظهر السور الدفاعي المَحيط حول وحدات المباني السكنية، من العصر الحديدي في إمارة الشارقة.

تعتبر مستوطنة مويلح دليلا أساسيا لفهم حياة المجتمعات القديمة في الإمارات، وتفاعلها التجاري والاجتماعي مع مستوطنات معاصرة، مثل الثقيبة وتل الأبرق وكلباء في إمارة الشارقة وموقع القصيص في إمارة دبي والرميلة وقرن بنت سعود وهيلي 8 في إمارة أبو ظبي، وبثنة ومسافي في الفجيرة ومواقع أخرى في عُمان وأخرى خارج شبه الجزيرة العربية.

أظهرت عمليات التنقيب الأثري أن المستوطنة كانت مُحاطة بسور دفاعي، تم تشييده من الحجر والطين، وضم بداخله مبان ذات وظائف متعددة، من بينها مبنى مركزي كبير يحتوي على إحدى وعشرين قاعدة عمود يُعتقد أنها كانت خشبية، وربما كان المبنى مركزا إداريا أو اقتصاديا للمستوطنة (Magee 2003, 183, fig.2). ويبدو أن المباني ذات الأعمدة كانت من الملامح المعمارية المعروفة في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحديدي، كما يدل على ذلك المبنى المُكتشف من الموقع المُعاصر في الرميلة (Boucharlat and Lombard 2001)، وفي موقع البثنة حيث تم الكشف عن مبنى

يحتوي على منصة مركزية ربما كانت قاعدة لسلسلة من الأعمدة الخشبية (Benoist 2005; 2013; Benoist et al. 2012) ويبدو أن تشييد الأسوار الدفاعية حول مواقع العصر الحديدي كان أيضًا، من بين الأمور التي اهتم بها سكان آنذاك، كما يظهر ذلك في مواقع الرميلة وهيلي 2، 14 و17 في واحة العين (Potts 2012b, 93).

وتم الكشف عن بقايا ورش تصنيع البرونز، وأدوات حديدية وأوان وجرار فخارية وأباريق ذات صنابير بارزة تحمل زخارف متنوعة، تعكس مستوى التطور الذي بلغه السكان في صناعات العصر الحديدي (Magee 2003, fig. 3).

يُعد موقع مويلح من أهم المواقع الأثرية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية التي وثقت تدجين الجمل العربي في حوالي 1000 عام قبل الميلاد، وقد تم العثور فيه على عدد كبير من عظام الجمال المُدجَّنة (Uerpmann, 2000; Uerpmann and Uerpmann 2002). ولعل العثور على دُمية طينية متميزة كبيرة الحجم نسبيًا، تحمل زخرفة مصبوغة، تمثل جملًا يحمل على ظهره ما يبدو ان يكون مقعدًا للجلوس "سرج" (الشكل 12)، ما يشير إلى استئناس الجمل واستخدامه لتسهيل مهام الحياة اليومية خلال العصر الحديدي (Magee 1996, 210). ومن الجدير بالذكر، أن هناك دُمى مشابه أخرى تم العثور عليها في طبقات العصر الحديدي في موقعي تل الأبرق والرميلة (Magee 1966, 206). ولعل وجود هذ النوع من الدمُى انما ينطوي على نفس المضمون.

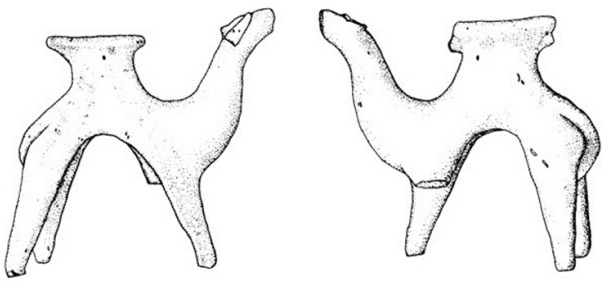

الشكل 12: دُمية من الطين المشوي تمثل جملا مُدجنًا يحمل سرجًا، من مستوطنة العصر الحديدي II في مويلح (1100–600) قبل الميلاد.

ومن المكتشفات المهمة هو العثور على قطعة فخارية تحمل ثلاثة حروف عربية جنوبية (ب، م، ل)، تُعتبر أول دليل على استعمال الكتابة في الإمارات العربية المتحدة لحد اليوم وتشكل ايضًا دليلًا على قيام اتصالات ثقافية ولغوية مع منطقة جنوب الجزيرة العربية في الألفية الأولى قبل الميلاد، وربما يدل وجود هذه الحروف على فهم شريحة من السكان المحليين لذلك الخط (Magee 1990)، كما أن وجود العديد من القطع الأثرية المستوردة، يشكل دليلًا آخرًا على قيام اتصالات تجارية خارجية (Magee 1966, 208).

لم تتوفر لدينا معلومات حول المدافن أو عادات وطقوس الدفن من مويلح في العصر الحديدي، ولعلنا نشير بهذا الصدد إلى العثور على ملاذ صغير يُعتقد أنه كان مخصصًا لعبادة الثعابين في مسافي 3 من العصر الحديدي، حيث تم العثور على مجموعة من الثعابين البرونزية (Benoist 2007; Beniost et al. 2012, fig 11). وهناك أمثلة مشابهة تم العثور عليها في مواقع أخرى من العصر الحديدي مثل القصيص (Taha 2009, pl. 53)، وفي سالوت في عمان (Avanzini et al. 2007, fig. 18; 1). ويُظهر الدليل الأثري وجود الروابط الحضارية الوثيقة بين مواقع دولة الإمارات وسلطنة عُمان خلال العصر الحديدي (Al Bakri 2006).

ويبدو أن مستوطنة مويلح كانت قد تعرضت لتدمير واسع بسبب حريق هائل شب خلال إحدى مراحل حياتها أدى إلى نهاية نشاطها وهجرها (Magee et al. 2018).

الشارقة في الفترات الكلاسيكية – مليحة مثلًا

تمثل الفترات الكلاسيكية في إمارة الشارقة ذروة التحول في أنماط الاستيطان التقليدية إلى مجتمعات ذات طابع حضري واضح مندمجة في شبكات سياسية واقتصادية وثقافية عابرة للأقاليم. ويُعد موقع مليحة الواقع في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة (الشكل 13)، من أبرز وأكبر وأهم الشواهد الأثرية على هذه المرحلة، إذ يوفر سجلًا أثريًا زاخرًا يعكس طبيعة التفاعل بين المجتمعات المحلية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة

العربية والعالم الهلنستي خلال القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الميلادية الأولى (Parpas 2016, 302; Jasim et al. 2016; Yule et al. 2025; Overlaet 2025).

وقد اتسمت هذه الفترة بحدوث تغيرات إقليمية واسعة أعقب انهيار الإمبراطورية الأخمينية وفتوحات الإسكندر الكبير وامتداد النفوذ الهلنستي وصعود القوى البارثية. وفي هذا السياق، كانت مليحة كيانًا بارزًا وجزء من منظومة سياسية واقتصادية مرنة، تفاعلت مع التحولات الكبرى التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى القديم (Hellyer 1998. 98). احتضنت مليحة مجتمعًا مزدهرًا ومركزًا تجاريًا ذي صلات تجارية مع مناطق شبه الجزيرة العربية، شمال الخليج، شرق البحر الأبيض المتوسط، وادي الرافدين، إيران، الجزر الإغريقية ومراكز رومانية مختلفة خلال الفترة الهلنستية، كما تشير إلى ذلك دليل اللُّقى الأثرية التي تم العثور عليها في قبور الموقع (Potts 1990, 268; Yule and Mauro 2025, 40).

كشف المعطيات الأثرية في مليحة عن وجود مستوطنة واسعة، تبلغ مساحتها حوالي (2 كم x 1.5 كم) ذات تخطيط متسأوق نسبيًا، تضم مبان سكنية وإدارية وملوكية ومناطق مخصصة للأنشطة الاقتصادية ومقبرة واسعة تضم قبورًا ضخمة ذات أبراج. ويشير توزيع العمارة داخل الموقع إلى درجة من التنظيم المكاني، تعكس وجود سلطة محلية أو نخبة اجتماعية لعبت دورًا مهما في إدارة شؤون المستوطنة، كما تدل المباني الحجرية والطينية على استقرار طويل الأمد، يختلف جذريًا عن أنماط الاستيطان التي كانت سائدة في العصور البرونزية والحديدية السابقة.

الشكل 13: منظر جوّي يُظهر مستوطنة مليحة والمواقع التي شملها التنقيب في المنطقة الوسطى.

من هم سُكّان مليحة الأوائل؟

أطلق على الفترة اللاحقة للعصر الحديدي اسم "مرحلة ما قبل الإسلام المتأخرة"، وتعكس هذه التسمية حقيقة اندماج الثقافة الجديدة بالتطور التاريخي الذاتي لمنطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. واستنادًا إلى الشبه القوي بين المكتشفات الأثرية في مليحة مع نظيراتها فيما يُعرف اليوم بالجزء الداخلي من شبه الجزيرة العربية، فإن الفرضية الحالية تستند على أن سكان مليحة كانوا من الأقوام البدوية الوافدة إلى المنطقة. ويبدو أنهم فضلوا منطقة مليحة نظرًا لوفرة المياه والموارد الطبيعية الأخرى فيها، بالإضافة إلى ذلك، فإن موقعها الذي لا يبعد كثيرًا عن أطراف الصحراء يجعل التواصل مع الجماعات البدوية الأخرى سهلًا (Potts 1990, 270; Jasim et al., 2016).

تشير الدلائل الأثرية إلى أن سكان مليحة القدماء كانوا يشكلون مجتمعًا قائم على التمايز الطبقي، ويتبع نظامًا سياسيًا معينًا كان للملك أو الحاكم فيه دورًا قياديًا رئيسيًا وبارزًا مكنّه من إدارة وتطوير النظام حتى أصبحت مليحة محطة للقوافل التجارية المتنقلة عبر منطقة شبه الجزيرة العربية والأقاليم الحضارية المجاورة، ومركزًا اقتصاديًا متميزًا.

مليحة وعُمان

من المعروف أن اسم عُمان/عُمانة كان قد ورد في المصادر الغربية في كتاب "الطواف حول البحر الأرثيري" لمؤلف مجهول، ووردت الإشارة الأخرى في كتاب "التاريخ الطبيعي" لمؤلفه "بليني الأكبر" وكلاهما يذكر وجود عُمان كميناء مهم في القرن الأول قبل الميلاد. تباينت الآراء والتكهنات حول الموقع المحتمل لهذا المكان، منهم من رأى ان موقع الدور في إمارة ام القيوين هو موقع عُمانة القديم (Potts 1996, 111; bin Seray 2009,123)، بينما أقترح آخرون أن مدينة دبا الحصن الواقعة على بحر عمان إنما هي موقع عُمانة القديم (Jasim 2006)، وقدم كل فريق منهما الحجج والفرضيات التي تسند رأيه.

ونشير بهذا الصدد إلى نقش جنائزي ثنائي اللغة بالخطين العربي الجنوبي والآرامي تم اكتشافه في أواخر العام 2015 داخل حجرة دفن في أحد القبور الكبيرة المهمة في مليحة، وينطوي هذا النقش على أهمية ذات مغزى كبير، فهو يذكر اسم المتوفي ومهنته "عامود بن جر بن علي مُفتش ملك عُمان"، ومع أن كلا النصين يعطيان نفس المعلومة، فإن النص الآرامي يذكر أيضًا تاريخًا حسب التقويم السلوقي وهو 90 أو 97 الذي يُصادف تاريخًا يعود إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد (222/221 أو 215/214 (Multhoff and Stein 2018)، وهذه هي الإشارة التاريخية الأولى التي تتوفر لدينا على وجود مملكة عُمان والتي قد تكون مليحة. إن هذا النص الجنائزي يؤكد وجود مملكة عمان، ومن المحتمل أن مليحة كانت عاصمتها وشملت الأراضي الحالية لدولة الإمارات وأجزاء من سلطنة عُمان) Overlaet 2025).

الكتابة

كانت الكتابة أحد التطورات الجديدة التي كان لها تأثير حضاري كبير، رغم قلة النقوش الكتابية المكتشفة والتي اقتصرت على شواهد القبور ولوحات الإهداء المعدنية المكرّسة للآلهة وأشخاص معينين، يبدو إن استعمال الكتابة يدل على أن مجتمع مليحة القديم كان يضم شريحة من المتعلمين. إن استخدام كلا اللغتين العربية الجنوبية والآرامية يشير إلى تواجد خليط سكاني وتواصل مع التجار الأجانب الذي يقيمون في العاصمة ((Overlaet 2025.

وبالإضافة إلى شواهد القبور فقد كشفت التنقيبات في موقع مليحة عن كتابات عربية جنوبية بخط الزبور، الذي كان يستخدم في المراسلات اليومية في منطقة جنوب الجزيرة العربية، منقوشة على لوحة

فضية مُكرّسة إلى الإلاهة اللات وعلى مقبض جرة فخارية (Stein 2017, figs. 7, 9, 10).

العملات المعدنية في مليحة

يشهد وجود العملات الأجنبية والمحلية على ممارسة الأنشطة الاقتصادية والفعّاليات التجارية عبر المسافات البعيدة، وكانت مليحة تسك عملاتها محليًا من الفضة وخليط النحاس والفضة ومن البرونز، وربما كان، هذا في بادئ الأمر، عرضًا لاستقلالها أكثر من كونه للضرورة الاقتصادية (Bruno 2025). وقد عزز هذا الرأي العثور على قالب صب المسكوكات في إحدى مباني الموقع المهمة. كانت نقود مليحة التي تم إصدارها في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد – القرن الثاني الميلادي، تمثل تقليدًا لعملات الاسكندر الكبير، تحمل على الوجه صورة هرقل يرتدي فروة الأسد النيمي بيمنا يُظهر القفا صورة الإله "زيوس" جالسًا على العرش مع نسر وهرأوة. وتغيرت التفاصيل فيما بعد فقد تُرك رأس هرقل أو تم استبدال صورة النسر على القفا بصورة حصان مع إضافة رموز إلى جانب زيوس الذي يرتبط بعبادة الإله "شمش" في بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية، مقترنًا مع ايقونات محلية مثل الحصان وشجرة النخيل والمرساة (Haer-inck 2008).

يُعتقد ان أبيئيل " أبي - الإله"، ربما كان هو الحاكم الأسطوري في منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية خلال أواخر القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد، وربما يكون لقب عرش وراثي أطلق على سلسلة من الحُكام المحليين على مدى فترة طويلة من الزمن ((Overlaet 2025، بيد أن دراسة حديثة تفيد أن اسم أبيئيل، ربما يُقرأ "إبن...أو إبنة..." ويشير إلى عدد من النساء اللواتي تولين مقاليد الحكم ومن بينهن ملكة مليحة "بجلن برت أبيئيل" (MacDonald 2010).

كانت عملات مليحة تُنتج وفق ثلاثة فئات وهي ألأبول والدراخما والتترادراخما (Potts 1991; 1994). وتشهد العملات الأجنبية والمحلية على ممارسة الأنشطة الاقتصادية والفعاليات التجارية عبر المسافات البعيدة. لقد تم اكتشاف عدد كبير من العملات النقدية من خلال عمليات التنقيب التي أجريت في مليحة خلال حملات التنقيب الماضية، ومن الأمور اللافتة بهذا الصدد هو العثور مؤخرًا على جرة فخارية مُعبئة ب (409) من عملات فضية من فئة التترا دراخما (الشكل 14). إن توفر عدد كبير جدا من العملات المحلية من هذه الفئة في مليحة، انما يشكل دليلًا واضحًا على كثافة المعاملات الاقتصادية والتبادل التجاري عبر الأقاليم المجاورة والبعيدة.

الشكل 14: عملة فضية من فئة "تترادراخما"، يظهر رأس هرقل على الوجه (يسار)، في حين يحمل القفا صورة "زيوس" جالسًا على العرش، وتظهر أمامه شجرة وحصان فوق ذراعه اليُمنى، ويمسك هرأوة باليُسرى.

الصروح المعمارية

يبدو أن الأنشطة التجارية والفعاليات الاقتصادية التي اضطلع بها طبقة ذات نفوذ وجاه في مليحة كان لها مردود اقتصادي واضح انعكس في عدد من المظاهر الحضارية البارزة، نذكر منها، على سبيل المثال، إقامة وتشييد عدد من الصروح المعمارية اللافتة, ونشير هنا بشكل خاص إلى المبنى الواسع الكبير ذي الصفات المعمارية المتميزة والذي يُطلق علية مُسمى "الحصن" (الشكل 16-15). يحتوي هذا المبنى على ثمانية أبراج يتوزع أربعة منها على زوايا المبنى الأربعة

في حين ينتصب برج آخر في منتصف كل ضلع منه. يقع البرج الرئيسي الذي يضم المدخل في منتصف الجدار الشرقي، وهو الأكبر حجمًا من بين الأبراج الأخرى.

ويبدو أن المبنى كان يؤدي وظائف متعددة إلى جانب وظيفته الدفاعية، فقد خُصصت الجهة الشرقية لأغراض السكنى، بينما كُرسّت الجهة الغربية لأغراض الخزن وورش العمل. تم العثور ثلاثة أجزاء من قوالب سك العملة وبلك يمكن إضافة بُعد سياسي واقتصادي لوظائف المبنى، ويُشكل دليلًا على سك العملة المحلية. وتم الكشف عن لُقى أثرية استثنائية كثيرة ذات منشئ محلي وأخرى مستوردة (Benoist et al. 2003).

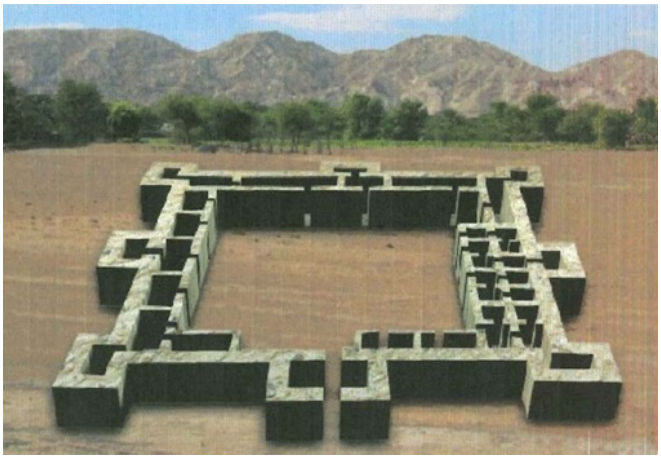

الشكل 15: نموذج مُجسّم لحصن مليحة، ويظهر في الخلفية سلسلة جبل الفاية في الجهة الغربية.
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

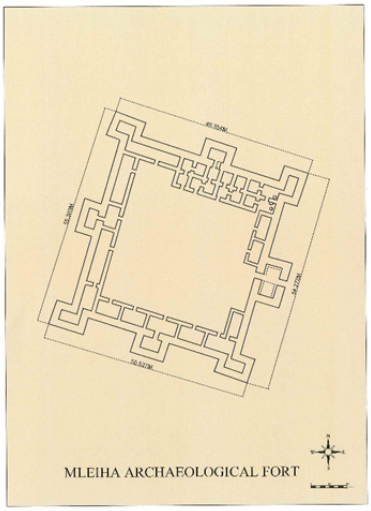

الشكل 16: مخطط لنفس مبنى الحصن (أعلى)، في الجهة الشرقية.
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

أما المبنى الآخر فيسمى "القصر" والذي يُعد مجمعًا معماريًا ضخما ويتميز بجملة من العناصر المعمارية الفريدة والتي أهلته، بدون شك، لنيل هذه التسمية. يتكون من مبنى مركزي مُحصَن ب 44 دعّامة على طول جداره الخارجي يحيط به سور خارجي مستطيل الشكل مُحصّن ب 193 دعّامة موزعة على طول مُحيطه، يبدو أنها أقيمت لأغراض دفاعية إضافة إلى إضفاء صفة جمالية جذّابة. وهناك ثمانية أبراج تنتصب عند كل زاوية وفي منتصف كل جدار، ويُدخل لها من طرف واحد، مما يشير إلى احتمال احتواءها على سلالم تؤدي إلى السطح. ويقع المدخل الرئيسي ضمن البرج المركزي في الجهة الشرقية، وهناك مجمعين صغيرين بين المبنى المركزي والسور الدفاعي الخارجي، ربما كان أحدهما يُستعمل كإسطبل للخيول والحراسة، والآخر كمطبخ لسكنة القصر (الشكل 17-18).

احتوى المبنى المركزي على العديد من الغرف المُخصصة لأغراض العمل والخزن والطبخ وورش عمل وتم العثور على لقى أثرية متنوعة، بالإضافة إلى بقايا عضوية نباتية وحيوانية وفرّت معلومات بيئية واقتصادية هامة. ويبدو أن القصر كان قد تعرض للحرق والتدمير خلال المرحلة الأخيرة من حياة المستوطنة، وربما تزامنًا مع التطورات التي صاحبت صعود قوة الساسانيين في المنطقة (Mouton, et al. 2012) .

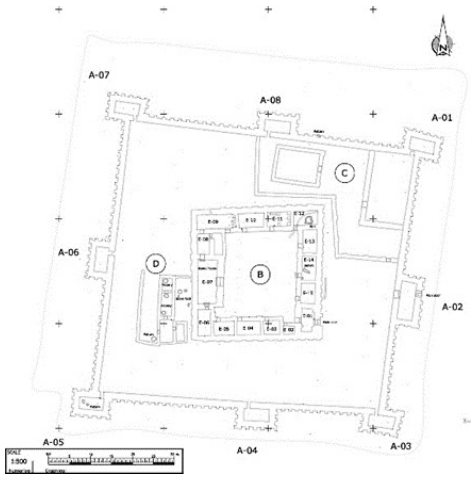

الشكل 17: مخطط مُجمع القصر في (مليحة 8). (C) إسطبل الخيول والحراسة، (D) مطبخ القصر.
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

الشكل 18: منظر جوي يُبين مبنى القصر في الجهة الشرقية من مستوطنة مليحة، ويظهر في الخلفية سلسلة جبل الفاية.
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

وبالإضافة إلى هذين الصرحين فقد ضمت مليحة عددًا آخرًا من المباني الكبيرة التي تدل على أنها كانت تابعة إلى علية القوم وأصحاب النفوذ آنذاك، من بينها المبنى الواقع في المنطقة (MLH-1) في الجهة الغربية، على مقربة من سلسلة جبل الفاية (الشكل 19) (Jasim 2001).

الشكل 19: منظر يُظهر المبنى السكني الكبير في الجهة الغربية من الموقع "MLH 1".

المبنى الكبير الآخر يقع في الجهة الشرقية، أطلقنا عليه تسمية (MLH 4). وهو عبارة عن مجمع سكني كبير، يبدو للوهلة الأولى وكأنه بناية كبيرة واحدة، إلا أنه في واقع الحال يتكون من خمسة وحدات بنائية مستقلة ذات مداخل منفصلة. تحتوي كل وحدة بنائية على عدد من الغرف ذات أبعاد مختلفة وتشير المواد التي احتوتها تلك الغرف على كونها ذات طبيعة منزلية، ربما تمثل مساكن فردية لعدد من العوائل أو وحدات اقتصادية تعود إلى تجّار ذوي مكانة متميزة (الشكل 20).

الشكل 20: المجمع السكني الكبير في "مليحة 4".
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

ومن المباني الكبيرة المتميزة الأخرى، هو ذلك المبنى الذي أطلقنا علية «بيت المزرعة» (MLH 6). يقع على مسافة قريبة من المجمع السكني السابق ويتكون من 12 غرفة. يقع المدخل الرئيسي في الجهة الغربية ويؤدي إلى فناء يفضي إلى بقية الغرف عبر مداخل خاصة. تنتشر على أرضيات الغرف أحجار الطحن والأوعية الفخارية وبقايا مواقد النيران مما يشير إلى طبيعة المبنى المنزلية (الشكل 21).

الشكل 21: مُخطط "بيت المزرعة، ويظهر المطبخ في الزاوية الشمالية الشرقية.
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

وعلى بُعد حوالي 20 مترا شمال شرق المبنى الرئيسي، يوجد ما يبدوو أنه مطبخ على شكل تجويف أو حفرة دائرية يبلغ قطرها حوالي 3.10 م، على عمق 1.20 م تحت سطح الأرض يتم النزول إليه بواسطة سُلّم يتكون من خمسة درجات يؤدي إلى مطبخ يحتوي على تنّورين وعدد من أحجار الطحن ومعدات أخرى تستعمل لأغراض تحضير وطبخ الطعام (الشكل 22).

الشكل 22: منظر يُظهر موضع تحضير الطعام في المطبخ المُلحق ببيت المزرعة.

المشهد الجنائزي وطقوس الدفن في مليحة

اهتم سكان مليحة بموضوع الموت والحياة الخفية الأخرى، ومارسوا من أجل ذلك طقوسًا دينية مُعينة لتكريم موتاهم. خصص سكان مليحة منطقة واسعة لإيداع الموتى، وشيدوا القبور الضخمة والأبراج التي تُليق بهم كل حسب منزلته ومكانته الاجتماعية.

تمتد المقبرة الكبيرة كما نراها اليوم على الحدود الشرقية والجنوبية للمستوطنة، وتضم عددًا من القبور التذكارية الكبيرة المشيدة بالطوب الكلسي والطيني وتتكون من حجرة دفن تحت الأرض ذات سقوف تتكون من أعمدة خشبية مُغطاة بطبقة من الطوب الطيني، شُيد فوقها غرفة أو برجًا ذي جدران مائلة قليلًا نحو الداخل قد ترتفع إلى نحو 6 أو 7 أمتار، ومتوجة بشرفات مُدرّجة. لم يكن لمعظم القبور مدخل منفصل، ومع ذلك فإن بعض القبور الأخرى لها مداخل منفصلة ذات درجات تؤدي إلى حجرة الدفن (الشكل 23). ومن القبور الفريدة والاستثنائية هو ذلك القبر، المُشار إليه أعلاه، الذي تم اكتشافه في العام 2015 واحتوى على نقش ثنائي اللغة بالخطين العربي الجنوبي والآرامي، واحتوى على بعض المكتشفات المرتبطة بالدفن الأصلي تتناسب مع المكانة العالية المتوقعة لمقام مفتش ملكي (Overlaet 2025).

الشكل 23: بقايا القبور الكبيرة ذات الأبراج وحجرات دفن تحت أرضية في "مليحة 7".
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

وكما يبدوو من مشاهد الدفن، فإن القبور الكبيرة ذات الأبراج العالية كانت مُحاطة بعدد من القبور الصغيرة المتواضعة والتي كانت على ما يبدوو مخصصة للأشخاص التابعين أو لعامة الناس من ذوي المنزلة الأدنى، ما يعكس ظاهرة التمايز الطبقية والمكانة الاجتماعية الذي أشرنا إليهما أعلاه (الشكل 24).

الشكل 24: منظر جوي يُظهر توزيع القبور الاعتيادية والبسيطة حول القبور التذكارية الضخمة في جزء من مقبرة الموقع "مليحة 5".
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

المعتقدات الدينية وعالم ما بعد الموت

على الرغم من أن جميع القبور كانت قد تعرضت للنهب والتدمير خلال العصور القديمة، إلا أنها ضمت بعض اللُقى الأثرية المهمة، ما يكفي لإعطاء فكرة لا بأس بها عن عادات وطقوس الدفن. ونتعرض فيما يلي بإيجاز إلى بعض المظاهر ذات العلاقة بالموضع.

في جزء من المقبرة الواسعة - مليحة 2 – (الشكل 25)، الكائنة إلى الجنوب من حصن مليحة، تم العثور على هيكلين عظميين أحدهما لجمل وآخر لحصان مدفونين في قبر ملحق بقبر مهيب، وكان الحصان يرتدي لجامًا مزينًا بعدد من الأقراص الذهبية المنقوشة التي تعكس دقة الصناعة وجمال الذوق. ويبدو أن الجمل المدفون مع صاحبه يمثل قربانًا يسمى «البلية»، وهي عادة ظهرت في الفترة المتأخرة لما قبل الإسلام، وتتمثل بتقديم الجمال وأحيانًا الخيول، كقرابين تُدفن في قبور بجانب قبور أصحابها.

إن تقديم حصانين و12 جملًا- 9 منها تمثل جمالًا عربية و3 من الجمال الهجينة في سنوات عمرها اليافعة، كما ظهر في هذه المقبرة، لابد وأنه كان حدثًا خاصًا يتعلق بدفن شخص ذي منزلة رفيعة، وأن دفنه مع المتوفى يُعد تكريمً له ويعكس مكانته أو قوة ونفوذ عشيرته (Jasim 1999; Jasim et al., 2016). وينطوي حصان مليحة على أهمية خاصة لأنه يُعتبر من أقدم الأدلة الواضحة على وجود الحصان العربي الأصيل في المنطقة، وأظهرت نتائج تحليل النظائر المُشعة أن واحدًا على الأقل من الخيول المدفونة هنا كان مستوردًا من مناطق الخليج الشمالية مثل العراق أو الكويت.

وفي المقبرة الواسعة في جبل البحيص في إمارة الشارقة، تم العثور في أحد قبور العصر البرونزي (BHS 12)، على هيكل عظمي كامل لجمل يعود إلى العام 600 قبل الميلاد، استنادًا إلى تحديد الكربون 14، ويمثل هو الآخر جزء من الطقوس والممارسات الجنائزية في فترة ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية (Jasim 2012, 58, fig. 75). يُعتبر دفن الجمال من الظواهر ذات العلاقة بطقوس الدفن المرتبطة بالممارسات الجنائزية أو الرمزية ذات العلاقة بالموتى وتكريمًا خاصًا للمتوفى، خاصة في المجتمعات العربية القديمة حيث كان الجمل عنصرًا أساسيًا في الاقتصاد والتنقل، وقد تم اكتشاف عن مواقع عديدة في منطقة الجزيرة العربية شهدت مثل هذه الظاهرة خلال الفترة الممتدة من القرون الأخيرة قبل الميلاد قبل الميلاد وحتى ما قبل الفترة الإسلامية (Potts 1990; Uerpmann et al. 1999; Magee 2014; Cleuziou and Tosi 2007).

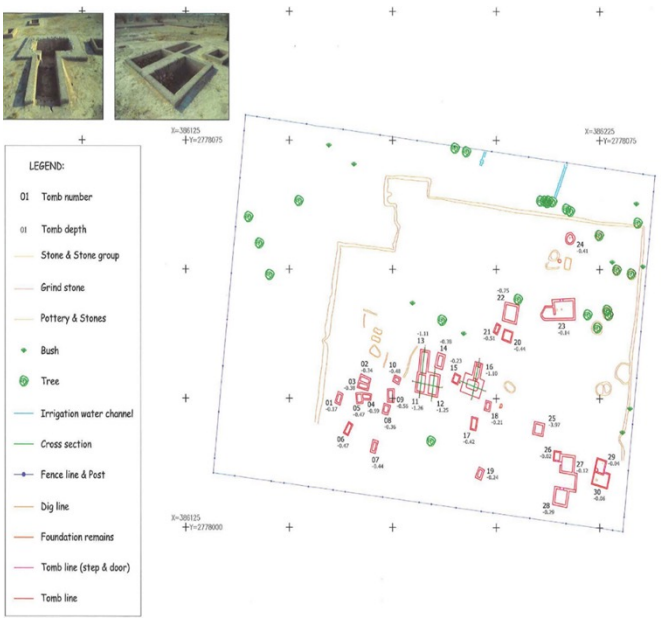

الشكل 25: مُخطط يوضح توزيع قبور الجمال والخيول في مقبرة "مليحة2".
(من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

ومن بين الأمور الأخرى ذات العلاقة بطقوس وعادات الدفن لدى مجتمع مليحة، هي احتواء القبور على أسلحة متنوعة مثل رؤوس السهام الحديدية والسكاكين والعديد من السيوف الثمينة ذات المقابض المعمولة على شكل رؤوس حيوانات مختلفة، غالبا ما كان يتم كسرها عمدًا أو عقفها قبل إيداعها القبر ما يوحي بممارسة طقس جنائزي معين، ويدل وجودها في القبور أيضًا على أن التسليح وصناعة الأسلحة كان ذو شأن مهم لدى السكان القدماء في مليحة (Overlaet et al.56 2025).

ويُعتقد أيضًا أن وجود أطقم شرب النبيذ البرونزية مع جرار الأمفورا في عدد من قبور مليحة ودبا، كانت جزء من طقوس وممارسات الدفن (Jasim 2006)، ورمزا للجاه والمكانة الاجتماعية وهذا ما يفسر وجود جرار النبيذ المتوسطية ضمن مقتنيات القبور المهمة في مواقع مثل بابل وأوروك في بلاد ما بين النهرين .(Over-laet et al. 2020)

بالإضافة إلى ذلك، فإن وجود بعض القطع الحجرية التي تحمل نقوشًا مُحززة على شكل علامة «رمح ثلاثي»، ربما تمثل نُصب للعبادة، وهو من الطقوس الشائعة في جنوب شرق الجزيرة العربية، وظاهرة موثقة جيدًا في مناطق الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط، من الناحيتين الأثرية والتاريخية (Overlaet et al. 2024).

من الأمور الغريبة واللافتة للنظر، أن جميع القبور التي ضمتها مقبرة مليحة الواسعة قد خلت من البقايا العظمية البشرية ولا نجد لحد الآن تفسيرًا معقولًا لهذه الظاهرة الغريبة. وإذا ما كان السبب يتعلق بطبيعة تركيب التربة، أو نتيجة لتحلل البقايا العظمية على مرور الزمن (Littleton 1995)، فإن هذه الحجة لا تصمد أمام حقيقة بقاء عظام الحيوانات التي تم دفن البعض منها كقرابين في نفس الموضع، ووجود هيكل عظمي لطفل صغير وجد بحالة جيدة بالقرب من أحد الدور السكنية في وسط مليحة (Jasim et al. 2016; Kutterer et a. 2014). وبناء على ما تقدم فإن غياب الهياكل العظمية البشرية من جميع قبور مليحة قد يُعزى إلى سبب آخر ويبقى موضوعًا مفتوحًا للنقاش..

المجاميع الأثرية المكتشفة / اللقى الأثرية

كشفت عمليات التنقيب الأثري على مدى السنين المنصرمة، سواء في القبور أو مواضع السكن وفي كل من الحصن والقصر بشكل خاص، عن عدد كبير من القطع الأثرية يُعتبر استثنائيا من حيث العدد والنوعية. وضمت بضائع كمالية مثل الحُلي الفضية والقلائد التي تتكون من خرز ذهبية وأحجار كريمة (Jasim et al. 2016, 96-98)، وأوعية نحاسية / برونزية مُزينة بمشاهد معارك يظهر فيها فرسانً يمتطون خيولًا وجمالًا في حالة حرب، وصحن برونزي مزين من الداخل بزخارف حيوانية ذات أنماط فنية مختلفة تمثل مزيجًا من مواضيع عربية وصور هلنستية وحيوانات افريقية متنوعة، وأوعية برونزية ذات صنابير على هيئة رأس بقرة أو ثور ((Overlaet 2025. ونشير أيضًا إلى أطقم النبيذ البرونزية التي تتكون من مغارف طويلة المقبض (المصدر السابق). والأسلحة الحديدية بمختلف أنواعها ونشير هنا بشكل خاص إلى مجموعة السيوف الطويلة المُثيرة للإعجاب التي عُثر عليها في معظم قبور مليحة

(Overlaet et al. 2024).

وكشفت التنقيبات عن أعداد هائلة من الفخاريات المتنوعة المصنوعة محليًا والمستوردة. ونذكر بشكل خاص وجود القطع الأثرية ذات الطابع الاستثنائي المستوردة من أقطار العالم الخارجي والتي تدل على التفاعل الحضاري الحاصل نتيجة للعلاقات التجارية بين مليحة وتلك المناطق الخارجية. ونشير على سبيل المثال إلى الأوعية الخزفية العالية الجودة ذات التزجيج الفاخر المستوردة من جنوب وادي الرافدين، والكؤوس الرقيقة من جنوب شرق إيران وأوعية الطبخ الهندية (Mouton et al. 2012; Jasim et al. 2016; Overlaet 2025).

ونتطرق على وجه الخصوص إلى البضائع المستوردة من الجزر الإغريقية وأقاليم العالم الهلنستي، ونشير هنا إلى مجموعة جرار الأمفورا الإغريقية المستوردة من جزيرة رودس، وتحمل بعض تلك الجرار على مقابضها طبعات أختام باسم صانعها وتاريخ الصنع، مما يسمح بتأريخها بدقة (Overlaet et al. 2025)، وتم كذلك تمييز جرة امفورا ذات طابع اسباني مستوردة من مقاطعة بيتيكا الرومانية في الأندلس (المصدر السابق). وربما كان اقتناء الجرار الرودسية المستعملة لحفظ النبيذ رمزًا للمكانة الاجتماعية، ويُظهر تحليل الجرار الروديسية من مليحة بوجود استيراد منتظم إلى حد ما منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد (Overlaet 2019).

وما زلنا مع مليحة وعلاقاتها المتميزة بالعالم الهلنستي، لنذكر مجموعة من التماثيل والقطع الأثرية الأخرى ذات العلاقة، ونذكر على سبيل المثال، تمثالا برونزيًا صغيرًا لأفروديت – إلهة الحب والجمال - الإغريقية أو الرومانية يؤرخ إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وتمثال صغير اسطوري لمخلوق مُجنح برأس أسد مُقرّن ولحية على جذع انسان له قدم ذات مخالب. وربما يكون هذا التمثال جزء من حامل ثلاثي تم استيراده من روما وكان مرتبطًا بعبادة الإله «ميثرا» (Overlaet 2025). ونذكر أيضًا تمثال برونزي لرجل واقف يحمل بيده اليمنى طيرًا، يورخ إلى القرن الثالث الميلادي (1986, fig. 32 Boucharlat and Mouton). وتم العثورعلى عدد من الأختام الاسطوانية المستوردة (Jasim et al. 2016; Overleat et al. 2023)، وختم آخر على شكل «أبو الجعل» شبيه بأختام الجعران المصرية، وأن اكتشافه في مليحة قد يمثل دليل على وجود اتصالات مع الحضارة المصرية، ربما بصورة غير مباشرة، في أواخر فترة العصر الحديدي، وعزز اكتشاف هذا الختم اكتشافا مماثلًا آخر من أحد القبور في عمان (Al Bakri 2007, 216).

وكانت الأوعية الزجاجية المترفة محط اهتمام النُخبة من سكان مليحة القدماء، وقد تم العثور على مجموعة من الأواني الزجاجية المستوردة من أقاليم البحر الأبيض المتوسط الرومانية ونشير بشكل خاص إلى وعاء متميز يحمل زخرفة أضلاع أفقية بارزة ويؤرخ إلى القرن الأول الميلادي (Jasim 1999, fig. 20)، وصحن مزجج بألوان مختلفة يحمل زخرفة» الألف وردة» وفق الطراز الروماني الشائع في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد (Jasim et al. 2016, 112).

وأظهرت التنقيبات أيضًا عددًا كبيرا من الأوعية الرخامية المتنوعة الأشكال والأحجام، المستوردة من جنوب الجزيرة العربية، وكانت تستعمل لحفظ المراهم والعطور (الشكل 62). وعدد من المباخر الفاخرة المصنوعة من الفخار ومبخرة حجرية فريدة من نوعها، كبيرة الحجم ذات بدن أسطواني الشكل يعلوه وعاء داري مُسطح كبير لحرق البخور، ربما كانت تعود لمعبد أو ضريح خاص بعائلة ذات مكانة اجتماعية مهمة (Jasim 2016).

الشكل 26: كنز من الأوعية الرخامية المستوردة إلى مليحة من جنوب الجزيرة العربية في القرن 1-2 الميلادي. (من أرشيف هيئة الشارقة للآثار)

وهكذا تؤكد الأدلة الأثرية أن مليحة كانت مركزًا تجاريًا وسياسيًا واقتصاديا محوريًا أسهم في تشكيل تاريخ وحضارة منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية خلال مرحلة مفصلية هامة.

ويبدو أن ازدهار مليحة وعزّها قد انتهى على نحو مفاجئ في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تزامنًا مع تغيير توازن القوى الاقليمية، والتي كانت تطمح لبسط سيطرتها على طرق التجارة في منطقة الخليج وما وراءه، وتم مُحاصرة وحرق القصر الكبير، وبعد ذلك هُجر الموقع وتُركت مليحة تحت رحمة عاديات الزمن حيث نُهبت ممتلكاتها ودُمرت معالمها الحضرية وغاصت تحت رمال صحراء العرب الكبرى. وتمثل دراسة مليحة عنصرًا اساسيًا في إعادة تقييم دور الجزيرة العربية ضمن تاريخ العالم القديم.

موانئ بحرية في العصر الروماني المبكر في الشارقة

موقع دبا الحصن

دبا الحصن مدينة ساحلية صغيرة تتبع إمارة الشارقة تقع على الساحل الشرقي لدولة الامارات العربية المتحدة، على طريق بحري مهم يربط بين سواحل عمان والامارات. يقترن ذكر دبا في التاريخ الاسلامي مع حروب الردّة بين جيوش المسلمين وعدد من القبائل والمدن التي نقضت عهدها بعد رحيل الرسول الأعظم محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم.

ويبدو أن أهمية دبا ومركزها المتميز يمتد إلى الفترة ما قبل الإسلامية، فقد حاء ذكرها باسم سوق العرب الهامة في الجاهلية حيت يلتقي التجار من الشرق والغرب للإتجار والتدأول، وكانت أيضًا واحدة من المدن القديمة في عُمان .

أسفرت عمليات التنقيب الأثري التي أجرتها بعثة هيئة الشارقة للآثار عن وجود مستوطنة كبيرة لا تبعد كثيرًا عن الساحل لم يتبقى منها سوى جزء صغير بسبب التطورات العمرانية الحديثة (Jasim and Yousif 2020)، ووجد بالقرب منها قبر جماعي كبير مشيد تحت سطح الأرض ضم رفاة عدد من الأشخاص من ذوي المنزلة الاجتماعية المتميزة كما تشير الهدايا الجنائزية ذات الصفة الاستثنائية المدفونة معهم، والتي تتكون من مجموعة متنوعة من الأواني الفخارية الرقيقة والقوارير الزجاجية والقطع العاجية الفريدة ومنها أمشاط هندية مزخرفة ومطعمة باللؤلؤ (Jasim and Yousif 2021, 233). ومجموعة خواتم فضية ذات فصوص من العقيق تحمل صورًا لآلهة وشخصيات رومانية مشهورة، إضافة إلى مجوهرات ذات قيمة عالية، وأسلحة حديدية متنوعة مثل السكاكين ورؤوس السهام (Jasim 2006).

أما فيما يتعلق بالجزء الذي تم اكتشافه من المستوطنة فيحتوي على عدد كبير من الورش الصناعية المخصصة لصناعة الأواني الزجاجية (Ham-Meert et al. 2018; Attaelmanan et al. 2020)، والأوعية الفخارية واستخراج حبات اللؤلؤ، وغرف الخزن المُكدسة بالأوعية الفخارية وجرار مملوءة بالقار المستورد من العراق وإيران (الشكل 27)، والذي يبدو أنه كان مطلوبًا في هذا الميناء الساحلي لغرض طلي القوارب والسفن و تسقيف المنازل.

أظهرت المكتشفات في كلا المستوطنة والقبر، كثرة وتنوع البضائع المستوردة من أقاليم الإمبراطورية الرومانية ووادي الرافدين والهند و أفغانستان وايران والتي تعكس حالة اقتصادية مزدهرة نظرًا للأنشطة التجارية التي كان سكان دبا القدماء يقومون بها عبر المسافات الطويلة والصلات الداخلية مع مليحة والدور، والتي تظهر بجلاء أن دبا كانت جزء فعال من شبكة تجارية عالمية بالاستفادة من الموقع الاستراتيجي لمدينهم المُطل على بحر عُمان مما أتاح لها ان تكون مركزًا ومحطة تجارية لاستقبال ورسو السفن التجارية المحملة بالبضائع بين مملكة شراسين في جنوب وادي الرافدين وموانئ المدن القديمة على البحر الاحمر والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي خلال فترة العهد الروماني الأول في القرن الأول للميلاد.

الشكل 27: غُرفة مُكدسة بعدد من الجرار الفخارية الكبيرة المملوءة بالقار المستورد من بلاد وادي الرافدين في القرن الأول الميلادي.

أن هذه المكتشفات الغير مسبوقة قد تعطي ثقلًا وسندًا لافتراض أن مدينة دبا القديمة ربما كانت إحدى موانئ مملكة عُمان الذي ورد ذكرها في كتابات المؤرخين الرومان الأوائل، والتي كما أوحت المكتشفات الحديثة المُشار لها أعلاه، كانت مليحة عاصمة لها (Jasim 2006; Bruno 2025).

تشير المكتشفات الأثرية من المواقع الكلاسيكية، مثل مليحة ودبا، إلى اندماج إمارة الشارقة في شبكات تجارية وثقافية واسعة النطاق، وتعكس تفاعلًا حضاريًا مع العالم الهلنستي، ضمن إطار محل مميز.

الفترات الإسلامية واستمرارية الاستيطان

مع قلة المواقع الأثرية التي تعود للفترة الإسلامية في إمارة الشارقة، مقارنة مع مواقع الفترات الأقدم، إلا أنها تمثل امتدادًا تاريخيًا للاستيطان في أراضي الإمارة، حيث يشير الدليل الأثري من مواقع الفترات الإسلامية في كل من المنطقة الوسطى وكلباء وخور فكان ودبا، إلى استمرارية الأنشطة الاقتصادية وأنماط الاستقرار مع إدخال تحولات دينية وثقافية جديدة. وتؤكد المكتشفات الأثرية من هذه الفترة مفهوم الاستمرارية الحضارية بطابع ثقافي يتلاءم مع عقائد وتقاليد تتماشى مع مجتمع عربي إسلامي محلي.

خاتمة

في ختام هذا العرض الموجز لمسيرة الشارقة التاريخية في مليون عام، يتبيّن لنا أن أراضي الشارقة لم تكن هامشاً جغرافياً في تاريخ جنوب شرق الجزيرة العربية، أو نقطة عابرة في السجل الأثري لهذه المنطقة، بل كانت مسرحاً فاعلاً لتجارب إنسانية متعاقبة شكّلت جزءاً أصيلاً من السجل الحضاري للمنطقة. فمن شواهد الاستيطان المبكر في عصور ما قبل التاريخ، مروراً بالتحولات التقنية والاجتماعية في العصرين البرونزي والحديدي، وصولاً إلى بدايات التشكّل الحضري وشبكات التبادل الإقليمي في الفترات الكلاسيكية، تكشف المكتشفات الأثرية عن دينامية مستمرة في أنماط التكيف مع البيئة واستثمار مواردها.

لقد أثبتت الشارقة، بما تحتضنه من مواقع ومحطات استيطان متعددة، وما أظهرته عمليات التنقيب الأثرية على مدى العقود المنصرمة، أن المنطقة كانت فضاءً للتفاعل الحضاري وأرض معطاء ساهمت في تعزيز المسيرة الإنسانية وتقديم الكثير للمجتمع البشري. وتبرز هذه المكتشفات القيمة العلمية والحضارية للشارقة بوصفها سجلًا ماديًا متصلًا يُسهم في فهم تاريخ الإنسان وتطوره الحضاري على مر العصور.

المراجع

- Al Bakri, S., 2006. "Iron Age sites in Oman: A Presentation of the most important modern archaeological surveys and excavations." Proceedings of the International Symposium: Archaeology of the Arabian Peninsula through the Ages. Sultanate of Oman, Ministry of Heritage & Culture, 211–231.
- Armitage, S. J., Jasim, S. A., Marks, A. E., Parker, A. G., Usik, V. I., and Uerpmann, H.-P. 2011. "The southern route 'out of Africa': Evidence for an early expansion of modern humans into Arabia." Science 331: 453–456.
- Attaelmanan, A. G. 2020. "Glass working evidence at Dibba, United Arab Emirates: An archaeometry study." Journal of Archaeological Sciences: Reports 30, 1–4.
- Avanzini, A., Phillips, C., al-Jahfali, M., Condolchi, M., Imoni, M. and Santon, R. 2007. Salut, Preliminary Report (February-March 2007). Pisa: IMTO- Italian Mission to Oman and University of Pisa.
- Beech, M., Elder, J., Shepherd, E. 2000. "Reconsidering the 'Ubaid of the Southern Gulf: New Results from Excavations on Dalma Island, U.A.E." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 30: 41–47.
- Beech, M. 2007 "The Late Stone Age of South-Eastern Arabia: New Results from Excavations on Marawah Island and Umm Az-Zumu, Abu Dhabi, UAE." Proceedings of the International Symposium: Archaeology of the Arabian Peninsula through the Ages. Sultanate of Oman, Ministry of Heritage & Culture, 111–141.
- Benoist, A., Mouton, M. and Schiettecatte, 2003. "The artefacts from the fort at Mleiha: distribution, origins, trade and dating." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 33: 59–76.
- Benoist, A. 2005. "Excavations at Bithna, Fujairah: First and Second Seasons." In: P. Hellyer & M. Ziolkowski (eds.), Archaeology of the United Arab Emirates: Proceedings of the First International Conference on the Archaeology of the U.A.E. London: Trident Press Ltd, 71–88.
- Benoist A. 2007. "An Iron Age II snake cult in the Oman Peninsula: evidence from Bithnah (Emirate of Fujairah)." Arabian Archaeology and Epigraphy: 18: 34–54.
- Benoist, A., Bernard, V., Brunet, O., and Hamel, A. 2012. "The Iron Age Occupation in Masafi: Report on Two Seasons of Excavations." In: Danial, T. Potts and Peter Hellyer (eds.) Fifty Years of Emirates Archaeology: Proceedings of the Second International Conference on Archaeology in the United Arab Emirates. Ministry of Culture, Youth and Community. Abu Dhabi, 150–161.
- Benoist, A. 2013. A green paradise. Economic strategies, collective practices, and local ancestors of the Iron Age community of Masafi (Emirate of Fujairah, UAE). Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 43: 47–62.

- Benton, J. N. & Potts, D. T. 1994. Jabal al-Emailah 1993-94: Report compiled for the Department of Culture and Information, Government of Sharjah, U. A. E.
- Bin Seray, A. 2009. "The Emirate Region from the First to the Seventh Century A.D. Historically, Economically, Politically, Archaeologically.' Proceedings of the International History Conference on a New Perspective on Recording UAE History. National Centre for Documentation & Research. Abu Dhabi, 115–131.
- Blau, S., Denham, T., Magee, P., Biggins, A., Jasim, S. A. 2000. "Seeing through the Dunes: Geophysical Site Investigations at Muweilah, an Iron Age site in the United Arab Emirates." Journal of Field Archaeology, Vol. 27 Number 2, 117–129.
- Bretzke, K. 2015. "Palaeolithic Assemblages from the Central of the Emirate of Sharjah (UAE) and Implications for Human Settlement Dynamics in Southern Arabia." In: Nicholas, J. Conard and Anna Delagnes (eds.), Settlement Dynamics of the Middle Palaeolithic and Middle Stone Age, Volume VI. Kerns Verlag, Tubingen, 105–125.
- Bretzke, K. 2016." Report on the field work of the German Archaeological Expedition at Suhaila." Annual Sharjah Archaeology, Issue 15: 21–34.
- Bretzke, K. 2018. "Preliminary report on the 2017 excavations at Jebel Faya-NE1 and Buhais 84." Annual Sharjah Archaeology 16: 77–83.
- Bretzke, K. & Conard, N. J. 2017. "Not just a cross road: population Dynamics and changing Material Culture in Southwestern Asia during the Late Pleistocene." Current Archaeology 58: 17: 449–462.
- Bretzke, K., Yousif, E., Jasim, S. 2018. "Filling in the gap – The Acheulean site Suhailah 1 from the central region of the Emirate of Sharjah, UAE." In: Quaternary International 466; 23–32.
- Bretzke, K., Crassard & Herbert, Y. H (eds.), 2020. "Stone Tools of Prehistoric Arabia." (Supplement to Volume 50 of the Proceedings of the Seminar for Arabian Studies): 15–26. Years Oxford Archaeopress.
- Bretzke, K., Preusser, F., Jasim, S. A., Miller, C., Preston, G., Raith, K., Underdown, S. J., Patron, A., Parker, A. G. 2022. "Multiple phases of human dispersal into Arabia between 210,000 and 120,000 years ago." Scientific Reports 12: 1600.
- Bretzke, K. and Jasim, S. A. 2023. "Filling in the gaps: new evidence for Middle and Upper Palaeolithic occupation in the central region of Sharjah." In: Advances in UAE Archaeology: Proceedings of Abu Dhabi's Archaeology Conference 2022. Zayed National Museum, 41–50.
- Bretzke, K. and Herbert, K., 2023. "Jebel Faya and the Middle to Late Pleistocene Transition: Settlement Continuity and Behavioural Flexibility." Paleorient, vol. 49. I, 63–81.

- Carter, R. A. and Crawford, H. 2006. "Boat remains and maritime trade in the Persian Gulf during the sixth and fifth millennia BC." Antiquity 80 (307): 52–63.
- Cleuziou, S. 1979. "The Second and Third Seasons of Excavations at Hilli 8 – a preliminary report on the 4th–5th campaign (1980-1984)." AUAE Vol. V, 61–87.
- Cleuziou, Serge and Tosi, Maurizio. 2007. In the Shadow of the Ancestors: The Prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilisation in Oman. Muscat: Ministry of Heritage and Culture, Sultanate of Oman.
- Cordoba, J. M. 2003 "Village of Shepherds in the Iron Age: The evidence of Al Madam (AM 1, Thuqaiba, Sharjah, UAE." in: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) Proceedings of the First International Conference of the Archaeology of the U.A.E. Trident Press Ltd. 173-180.
- Cordoba, J. M. 2003 "Al Madam 1-Thuqaibah (Sharjah, UAE): Recent Finds in the Mudbrick Working Area". In: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) Proceedings of the First International Conference of the Archaeology of the U.A.E. Trident Press Ltd. 124-147.
- Córdoba, J. M. 2006. "The mudbrick architecture of the Iron Age in the Oman Peninsula". In: Baffi, F., Dolce, R., Mazzoni, S., and Pinnock, F.(eds.). Ina kibrat abetti: Studi di Archeologia dedicati a Paolo Matthiae. Rome: Università di Rome "La Sapienza", pp. 95–110.
- Córdoba, J. M. 2012. "Al Madam 1 – Thuaibah (Sharjah, UAE): Recent Findings in the Mudbrick Working Area." In: Danial, T. Potts and Peter Hellyer (eds.) Fifty Years of Emirates Archaeology: Proceedings of the Second International Conference on Archaeology in the United Arab Emirates. Ministry of Culture, Youth and Community. Abu Dhabi, 142–147.
- De Beauclair, R., Jasim, S. A. and Uerpmann, H-P. 2006. "New results on the Neolithic jewellery from Al-Buhais 18, UAE." In: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 36: 175–187.
- Del Cerro, C. 2012. "Some evidence of crises and abandonment at the end of the Iron Age in Al Madam 1 – Thuqaibah (Sharjah, UAE). In: Danial, T. Potts and Peter Hellyer (eds.) Fifty Years of Emirates Archaeology: Proceedings of the Second International Conference on Archaeology in the United Arab Emirates. Ministry of Culture, Youth and Community. Abu Dhabi, 134-139.
- Frifelt, K. 1975. "A possible link between the Jamdat Nasr and the Umm an-Nar graves of Oman." Journal of Oman Studies 1: 57–80. Muscat: Ministry of Information and Culture, Sultanate of Oman.
- Frifelt, K. 1991. "The Island of Umm an-Nar: The Third Millennium Graves." Journal of the Archaeological Society, XXVII, Aarhus University Press.

- Haerinck, E. 2008. "Coins for Identity and coins for trade: Remarks on the Late Pre-Islamic Numismatics in SE Arabia (3rd c, BCE-3rd c. AD)." In: Peter Hellyer & Michele Ziolkowski (eds.) In: Heritage, vol. Two. Proceedings of the second Symposium on Recent Archaeological Discoveries in the Emirates and on the Symposium on History of the Emirates, Al-ain 2004. Zayed Center for Heritage and History, 64–80.
- Ham-Meert, A. V., Claey, P., Jasim, S., Yousif, E., Degryse. P. 2018. "Plant ash glass from the first century CE. Dibba, UAE." Archaeological and Anthropological Sciences, published online: 19 February, Springer.
- Ham-Meert, A. V., Dillis, S., Overlaet, B., Degryse, P. 2018. "Glass and glass production in the Oman Peninsula in antiquity reconsidered – chemical and mineralogical investigation of sand." Arabian Archaeology and Epigraphy 29: 93–101.
- Jasim, S. A. 1996. "An Ubaid site in the Emirate of Sharjah." Arabian Archaeology and Epigraphy: 7: 1–12.
- Jasim, S. A. 2000. "Second Millennium Settlement at Khor Fakkan, The Emirate of Sharjah." ISIMU, Vol. 3, 145–183.
- Jasim, S. A. 1999. "The Excavation of a camel cemetery at Mleiha, Sharjah, UAE." Arabian Archaeology and Epigraphy 1999: 10: 69–101.
- Jasim, S. A. 2001. 'Excavations at Mleiha 1993-94." Arabian Archaeology and Epigraphy 12: 103–135.
- Jasim, S. A. 2003. "Third Millennium Culture in the Emirate of Sharjah." In: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) Proceedings of the First International Conference on the Archaeology of the UAE. p. 86–99.
- Jasim, S. A. 2006. "Trade centers and commercial routes in the Arabian Gulf: Post-Hellenistic discoveries at Dibba, Sharjah, UAE." Arabian Archaeology and Epigraphy 17: 214–237.
- Jasim, S. A., 2009. "Iron Age tombs and burial practices at Jebel Al- Buhais, Sharjah." Proceedings of the International History Conference on a New Perspective on Recording UAE History. National Centre for Documentation & Research. Abu Dhabi, 75–87.
- Jasim 2012. The Necropolis of Jebel al-Buhais: Prehistoric Discoveries in the Emirate of Sharjah, United Arab Emirates. Department of Culture & Information, Sharjah.
- Jasim, S. A., Yousif, E. 2014. "Dibba: an ancient port on the Gulf of Oman in the early Roman era." Arabian Archaeology and Epigraphy 25: 50–79.
- Jasim, S. A. 2014, Tell Abada: an Ubaid Village in Northern Mesopotamia. Oriental Institute Publications. Vol. 147. The Oriental Institute of the University of Chicago, USA.
- Jasim, S. A., Uerpmann, H.-P. and Uerpmann, M. 2005. "Neolithic Life and Death in the Desert-8 Seasons of Excavations at Jebel al-Buhais." In: P. Hellyer and Dr M. Zi-

olkowski (eds.), Emirates Heritage – Vol. 1, Proceedings of the 1st Annual Symposium on Recent Discoveries in the Emirates, Al Ain, Zayed Center for Heritage and History, 29–36.

- Jasim, S. A., Uerpmann H.-P. & Uerpmann, M., 2016. Mleiha: The unwritten history. Surbiton Media Publishing Ltd.
- Jasim, S. and Yousif, E. 2016. "Bronze Age Tombs from Jebel Faya, Emirate of Sharjah." Annual Sharjah Archaeology, 15: 10–20.
- Jasim, S. A. and Yousif, E. 2021. "Royal Indian Ivory Comb from Dibba al-Hisen, Emirate of Sharjah, UAE." In: Nomina in Aqua Scripta: Homenaje a Joaquín María Córdoba (eds.) Adolfo J. Dominguez Monedero, Carmen del Cerro Linares, F. Javier Villalba Ruiz de Toledo y Francisco L. Gallardo Borrego, UAM, 233–245.
- Kieswetter, H., Uerpmann, H.-P. & Jasim, S. A. 2000. "Neolithic Jewellery for Jebel al-Buhais 18." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 30: 137–146.
- Kieswetter, H. 2003. In: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) "The Neolithic Population at Jebel al-Buhais 18: Remarks on Funerary Practices, Palaeodemography and Palaeopathology." International Conference of the Archaeology of the U.A.E. 15-44.
- Kutterer, A. U. & de Beauclair, R. 2008. "FAY-NE15 – Another Neolithic graveyard in the central region of the Sharjah Emirate?" Arabian Archaeology and Epigraphy: 19: 134–143.
- Kutterer, J. & Jasim, S., 2009. "First report on the copper-smelting site HLO-1 in Wadi al-Hilo, UAE." Proceedings of the Arabian Studies 39: 245–254.
- Kutterer, J., Neureiter, C., and Jasim, S.A. 2013. "Second report on the copper-smelting site HLO-1 in Wadi al-Hilo, UAE." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 43: 185–196.
- Ketterer, A. U., Doppler, S., Uerpmann, M., Uerpmann, H.-P. 2012. "Neolithic Cremation in South-East Arabia: archaeological and anthropological observations at FAY-NE 10 in the Emirate of Sharjah (UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 34: 125–144.
- Ketterer, J. 2020. "The Archaeological Site Hilo 1: A Bronze Age Copper mining and smelting site in the Emirate of Sharjah (UAE). Sharjah Archaeology Authority, Government of Sharjah, UAE.
- Ketterer, A., Overlaet, B., Christoph, E.M., Ketterer, J., Jasim, S., Haerink, E. 2014. "Late Pre-Islamic burials at Mleiha, Emirate of Sharjah (UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 25 (2): 175–185.
- Lidour, K., Beech, M., Eddisford, D., Phillips, C., Schwall, C., Jasim, S. A. 2022. "A Bronze to Iron Age fishing economy at Kalba 4 (Emirate of Sharjah)." Arabian Archaeology and Epigraphy 34: 44–62.
- Littleton, Judith. 1995. "Empty Tombs? The Taphonomy of Burials on Bahrain." Arabian

Archaeology and Epigraphy 6 (1): 5–14.

- MacDonald, C. A 2010. "The Abiel Coins of Easter Arabia: A Study of Aramaic Legends." Coinage of the Caravan Kingdoms: Studies in Ancient Arabian Monetisation. Edited by Martin Huth and Peter G. van Alfen, Numismatic Studies 25. The American Numismatic Society, New York, 402–447.
- Madsen, B. 2017. The early Bronze Age Tombs of Jabal Hafit: Danish Archaeological Investigations in Abu Dhabi 1961-1971. Abu Dhabi Tourism &Culture Authority, in cooperation with Jutland Archaeological Society and Moesgaard Museum, Narayana Press.
- Magee, P. 1996. "Excavations at Muweilah: Preliminary Report on the first Two Seasons." Arabian Archaeology and Epigraphy 7: 195–213.
- Magee, P. 1999. "Writing in the Iron Age: the earliest South Arabian inscription from southeastern Arabia." Arabian Archaeology and Epigraphy 10, No. 1: 43–50.
- Magee, P. 2001." Excavations at Muweilah 1997-2001." Proceedings of Seminar for Arabian Studies 31: 115–130.
- Magee, P. 2003. "Columned Halls, Power and Legislation in the Southeast Arabian Iron Age." In: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.). Archaeology of the United Arab Emirates. Proceedings of the First International Conference of the Archaeology of the U.A.E. Trident Press Ltd.182-191.
- Magee, P. 2014. The Archaeology of the Arabian Peninsula from the Palaeolithic to the Islamic Period. Cambridge University Press.
- Magee, P., Händel, M., Karachi, S. Brunet, O., Feston, B. Uerpmann, M., Uerpmann, H.-P., Jameson, M. and Silvia, Z. 2018. "Report on Fieldwork at Muweilah and Tell Abraq, Emirate of Sharjah, United Arab Emirates 2014-2017." Annual Sharjah Archaeology, Issue 16. Sharjah Archaeology Authority. 9 – 44.
- Monsieur, P., Overlaet, B., Jasim, S. A., Yousif, E., Haerinck, E. 2013. "Rhodian amphora stamps found in Mleiha (Sharjah, UAE): old and recent finds." Arabian Archaeology and Epigraphy 2013: 208–223.
- Mouton, Michel. 2008. "Mleiha et les débuts de l'épigraphie sudarabique dans le Golfe." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 38: 205–218.
- Mouton, M., Tengberg, V., Bernard, Le Maguer, S., Reddy, A., Soulie, D., Le Grand, M., and Goy, J. 2012. "Building H at Mleiha: new evidence of the pre-Islamic period D phase (PIR.D) in the Oman peninsula (second to mid-third century AD)." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 42: 205–222.
- Multhoff, A. 2018. "The bilingual tomb inscription from Mleiha, Sharjah, UAE- paleographical and philological remarks." Arabian Archaeology and Epigraphy 29: 55–64.
- Overlaet, B. 2020. "Wine for the afterlife – tombs and burial practices at Mleiha in SE-Arabia." (Manuscript). Paper presented at

the meeting of the Section of Human Sciences on 14 May 2019. Royal Museums of Art and History, Brussels, Belgium.

- Overlaet, B. 2025. Mleiha: An Arab Kingdom on the Fringe of the Hellenistic World. Sharjah Archaeology Authority.
- Overlaet, B., Monsieur, P., Jasim, S. A. and Yousif, E. 2019. "Rhodian amphora trade in Arabia (poster). Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 49: 241–246.
- Overlaet, B, Jasim, S., Yousif, E., Villanueva, M. A. N., Kamyab, K. 2024 "Sculptural ironwork and the development of Southeast Arabian swords as seen from Mleiha, Sharjah, UAE." In P. Magee (ed.) 65 Years of Unearthing Our Past. Proceedings of the 2024 Archaeology Conference - 65 Years of Unearthing Our Past. Proceedings of Abu Dhabi's Archaeology Conference 2023 and 2024. Oxford/Abu Dhabi, Archaeopress, in collaboration with Zayed National Museum.
- Overlaet, B., Jasim, S., Yousif, E. 2024.» A note on the trident mark, stone worship and cult practices in Southeast Arabia." Arabian Archaeology and Epigraphy: 1–10.
- Overlaet, B., Jasim, S., Yousif. E. "Imported and local Cylinder Seals in the Oman Peninsula: Finds from Kalba, Tell Abraq and Mleiha (Sharjah Emirate, UAE). Annual Sharjah Archaeology, Issue 21, 8–22.
- Parpas, A. P. 2008. The Hellenistic Gulf-Greek Naval Presence in South Mesopotamia and the Gulf (321-64 B.C.). Oxford University Press.
- Petraglia, M. D., Al-Sharekh, A., Breeze, P., Clarkson, C., Crassard, R., Drake, N. A., Gropucutt, H. S., Jennings, R., Parker, A. G., Patron, A., Robert, R. G., Shipton, C., Matheson, C., al-Omari, A., Vealt, M-A., 2012. Hominin dispersal into the Nefud Desert and Middle Palaeolithic settlement along the Jubbah paleolake, northern Arabia. PLoS ONE 7 (11): e49840.
- Phillips, C. S. 2002. In: Serge Cleuzio, Maurizio Tosi and Juris Zarins (eds.) "Prehistoric Middens and a Cemetery from the Southern Arabian Gulf." Essays on the late Prehistory of the Arabian Peninsula. INSTITUTO ITALIANO PER L'AFRICA E L'ORIENTE, Roma
- Potts, D. T. 1990. The Arabian Gulf in Antiquity. Vols. 1–2. Oxford: Clarendon Press.
- Potts, D. T. 2000. Ancient Magan: The secrets of Tell Abraq. London: Trident Press.
- Potts, D. T. 2009. "The Archaeology and Early History of the Persian Gulf." In: The Persian Gulf in History, edited by Lawrence G. Potter, 27–56. New York: Palgrave Macmillan.
- Rose, J. I. 2010. New Light on Human Prehistory in the Arabo-Persian Gulf Oasis." Current Anthropology 51(6): 849–883.
- Potts, D. T. 2012a. Archaeology of Eastern Arabia: From Prehistory till the coming of Islam. Oxford University Press.
- Potts, D. T. 2012b. In the Land of the Emirates: The Archaeology and History of the UAE. Trident Press Ltd. London and Sultan

bin Zayed's Culture and Media Centre, Abu Dhabi.

- Schawll, C., Brandl, M., Bprner, M. Deckers, K., Lindauer, S., Pernicka, E., Yousif, E., Jasim, S. A. 2022. "Kalba: new insights into an Early Bronze Age trading post on the Gulf of Oman." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 329–352.
- Scott-Jackson, J., Scott-Jackson, W. 2007. "Middle Palaeolithic or What? New Sites in Sharjah, UAE (Poster)» Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 37: 277–279.
- Scott-Jackson, J., Scot-Jackson, W., Rose. J. & Jasim, S. A. 2008. "Upper Pleistocene stone tools from Sharjah, UAE. Initial investigation: interim report." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 38: 43–54.
- Stein, P. 2017. "South Arabian Zabour script in the Gulf: some recent discoveries from Mleiha (Sharjah, UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 28: 110–123.
- Taha, M. T, 2009. The discovery of the Iron Age in the United Arab Emirates. Abu Dhabi: Ministry of Culture, Youth and Community Development.
- Uerpmann, H.-P. 1999. "Camel and Horse Skeletons from Mleiha in the Emirate of Sharjah." Arabian Archaeology and Epigraphy: 10: 102–118.
- Uerpmann, M. 2003. "The Dark Millennium? Remarks on the final Stone Age in the Emirates and Oman." In: D. T. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) Archaeology of the United Arab Emirates. Proceedings of the First International Conference of the Archaeology of the U.A.E. Trident Press Ltd. 73-84.
- Uerpmann, M. 2000. "A Study of Animal Bones from the Iron Age Site of Muweilah (Sharjah, UAE)." In: Marjan Mashkour, Alice M. Choyke, Henk Buitenhuis, and François Poplin (eds.) Archaeozoology of the Near East IV B: Proceedings of the Fourth International Symposium on the Archaeozoology of Southwestern Asia and Adjacent Areas.
- Uerpmann, M., and Uerpmann, H.-P. 1996. "Ubaid Pottery in the Eastern Gulf – New evidence from Umm al-Qaiwain (UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 7: 125–139.
- Uerpmann, H.- P., and Uerpmann, M. 2002. "The Appearance of the Domestic Camel in South-East Arabia." Journal of Oman Studies 12: 235–260.
- Uerpmann, H.-P., Uerpmann, M., Kutterer, J. and Jasim, S. A. 2013." The Neolithic Period in the central region of the Emirate of Sharjah." Arabian Archaeology and Epigraphy 24: 102-108.
- Uerpmann, H.-P., Margarethe Uerpmann, Matthias Hinderer, Susanne Lindauer, Christina Neureiter, Robert Ghukasyan, Suren Kesejyan and Arthur Petrosyan 2018. "HLO1-south: An Early Neolithic site in Wadi al-Hilo (Sharjah, UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 29 (1): 1–9.
- Uerpmann H.-P. & Uerpmann, M. 2002. "The appearance of the domestic camel in

- Yule, P. and Mauro, F. 2025. At the Dawn of History: The late Pre-Islamic Age in South-Eastern Arabia. Sultanate of Oman, Ministry of Heritage and Tourism. Archaeopress Publishing Ltd.

South-East Arabia." Journal of Oman Studies 12: 235–260.

- Uerpmann, H-P., et al., 2000. "Stone Age Nomadism in SE Arabia-Paleo-economic considerations on the Neolithic site of Al-Buhais 18." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 229–334.
- Uerpmaqnn, H.-P., Uerpmann, M., Kutterer, A., Jasim, S. A. 2013. "The Neolithic period in the Central region of the Emirate of Sharjah (UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 24: 102–108.
- Uerpmann, M., Uerpmann, H.-P., Hindderer, M., Lindauer, S., Neureiter, C., Ghukasyan, R., Kesejvan, S., Petrosyan, A. 2018. "HLO1-South: An Early Neolithic site in Wadi a0-Hilo (Sharjah, UAE)." Arabian Archaeology and Epigraphy 29 (1): 1-9.
- Van Ham-Meert, A., Dillis, S., Overlaet, B., & Degryse, P. 2018). "Glass and Glass production in the Oman Peninsula in Volantiquity reconsidered – chemical and mineralogical investigation of sands." Arabian Archaeology and Epigraphy 29: 93-104.
- Velde, C. 2003 "Wadi Suq and Late Bronze Age in the Oman Peninsula." In: D. Potts, H. Al Nabooda, P. Hellyer (eds.) Proceedings of the First International Conference of the Archaeology of the U.A.E. Trident Press Ltd. 102-113.
- Weeks, Lloyd R. 2003. "Early Metallurgy of the Persian Gulf: Technology, Trade, and the Bronze Age World." Leiden: Brill.